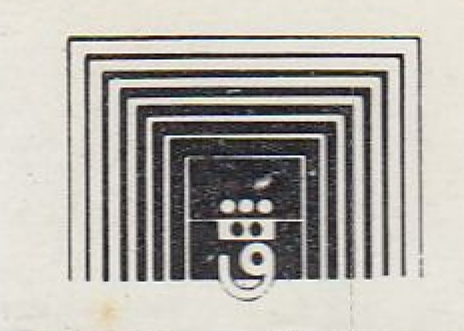


أصوات أدبية

الهيئة العامة لقصور الثقافة

٦٦

شارع البير

رواية

مصطفى نصر

أصوات أدبية

٦٦

شـــارع البيـــر

روايـــــة

مصطـفى نصـــر

أول أغسطس ١٩٩٤

DL

مستشارو التحـــريـــر

فؤاد حجازى — د. أحمد السعدنى

فاروق حسان — د. زكريا عنانى

المراسلات: باسم مدير التحرير على العنوان التالى
١٦ أ شارع أمين شامى - القصر العينى - القاهرة - رقم بريدى ١١٥٦١

أصـــوات أدبـيـة

سلسلة إسبوعية

تصدرها الهيئة العامة لقصور الثقافة

الغلاف تصميم : كمال عبده

لاتدرى ما الذى جاء بأسرتها من ليبيا إلى ذلك الموضع فى غربال. وكيف قطعت الطريق الطويل من «بنى غازى» لتسكن فى ذلك الحى المتواضع. يقولون إنهم كانوا يجيئون بالأغنام، سيرا على الأقدام، وتأكل أغنامهم من عشب الطريق، وتشرب من الماء الذى يلاقونه فى طريقهم. إلى أن يصلوا قبل العيد الكبير بقليل. فيبيعون ما معهم من أغنام إلى أهالى الاسكندرية. ويعودون ثانية.. لكن الكثيرين كانوا يستطيبون الحياة فى الاسكندرية، فيظلون فيها ويبقون.

لم يحك والدها عن تلك الرحلة التى قطعها والده، بل لم تكن تعلم شيئا عن هذا، فربما والدها أخفى أصله الليبى حتى لايعرف أهل الحى بأنه ليس مصريا مثلهم.

وأول مرة عرفت ذلك السر عندما جاء فرج صاحب الزريبة المواجهة لبيتهم وخلفه شاب أسمر نحيل قائلا:

- ذلك الشاب يسأل عنكم.

هرولت أمها يومها، وأضاءت مصباح السلم وهى تمسح يديها المبللة بطرف ثوبها، فقد دق فرج الباب وهى تطبخ . نظرت فى دهشة إلى فرج:

- تفضل يافرج.

كانت تتابع وجه الشاب فى دهشة:

– تفضل.

قال بلهجته القريبة من لهجات البدو:

– أنا..

لم تسمح أمى له بالدخول، حتى تدخل فرج قائلا:

–أسيظل الأستاذ، هكذا، خارج الشقة.

قبل أن تجيب أمها بشىء قال فرج مسرعا:

– تفضل يابلدينا.

لم تجد أمها بدا من أن تسمح له بالدخول. كان يرتدى ملابس متواضعة للغاية. بدلة صيفية كالحة اللون، وأظنها كانت حمراء قبل أن يفعل بها القدم مافعل.

بعد أن دخل وجلس على الكنبة الموضوعة فى «الطرقة» استأذن فرج بالانصراف.

لم يكن أبى فى المنزل ولا أخى نبيل. وآمال الصغيرة تأتى إلىّ فى حجرتى:

– اخرجى لتشاهدى قريبنا الجديد.

لم أهتم. كنت مشغولة برواية لإحسان عبد القدوس. أعطاها

لى صابر.

تتحرك آمال فى خفة وفرح. أنها أصغر منى، لكن جسدها أكبر ، طولها يصل لطول أمى ،. لكنها أكثر عرضا.

قلت:

– لاأريد أن أراه.

وظلت آمال واقفة، مما اضطرنى لأن أخرج لأراه، وجهه نحيف ويبدو عجوزا وهو مازال صغيرا..

قال الشاب:

– تعبت كثيرا حتى وصلت إليكم.

قالت أمى:

– أهلا بك.

– أنا صالح، والدى ابن عم الاستاذ محروس.

تعرف أمى أن والدى من أصل ليبى لذا لم تبد دهشتها من حديث صالح، مثلنا، بل تعاملت معه كأمر عادى ومألوف.

– محروس سيفرح كثيرا.

– الأسرة كلها فى بنى غازى تتمنى أن يأتى لزيارتنا.

نظرت أمى إلى آمال التى كانت مرتدية بيجامتها:

- آمال. اذهبى وابحثى عن والدك.

نظرت آمال إلىّ فى حيرة، فكلنا نعرف أن أبى ليس له مكان يذهب إليه الآن. إلا بائع الأفيون فى جبل ناعسة. أو الجلوس بجوار فرج أمام زريبة مواشيه، ولو كان موجودا ما كان فرج قد جاء بذلك الشاب هكذا.

رغم هذا وضعت آمال قدميها فى الشبشب. وسارت إلى الطريق.

تابعت«صالح» من خلف الكتاب. ذكرنى مظهره ببائع الجاز الذى يقود غربته الفنطاز وحصانه مناديا عن الجاز كل صباح. نفس الوجه الأسود والشارب والعينين الغائرتين.

قال صالح لأمى خجلا:

- لقد جئت إلى الاسكندرية لألتحق بالمعهد الدينى.

لم تعلق أمى بشىء . فمعنى قوله أنه بعد الالتحاق بالمعهد الدينى سيعيش فى شقتنا، فليس له فى الاسكندرية سوانا .

جاء أخى نبيل قبل والدى . قالت أمى مبتسمة:

- صالح ابن عمك

ولأن أخى نبيل لايعرف أن لوالده أخ. فقد صافح صالح

مندهشا. جلس بجانبه، تحدثا معا.

كان صالح يتحدث عن الكتب التى قرأها. أبدى أعجابه بطه حسين واحسان عبد القدوس المشهورين فى ليبيا.

قال لنبيل:

-أريد أن أعمل معلما فى بلدى.

لكن نبيل لايطيق الجلوس معنا طويلا، لهذا استأذن وتركه لنا إلى أن عاد أبى، الذى كان فرحا به. قبله كثيرا. وسأله عن والده وعن أسماء عديدة لم نسمع عنها من قبل. وأعدت أمى الطعام له. قالت أمى لأبى هامسة.

– قريبك يريد أن يسكن معنا.

– من قال لك؟

– أنا أعرف جيدا. فهو سيلتحق بالمعهد الدينى. وليس له أقارب سوانا.

– والعمل؟

– خذه إلى لوكاندة، فأنا عندى فتاتان وأخاف عليهما.

فكر أبى طويلا، لكن لم يجد سوى أن يفعل ما أشارت به أمى. فبعد أن انتصف الليل. قال أبى لصالح:

– تعال معى..

أخذه، واستأجر له حجرة فى لوكاندة رخيصة بشارع«جامع سلطان» وأصر أبى بأن يدفع الثمن لأسبوع بأكمله معتذرا بأن لديه فتاتين، ولايصح أن ينام فى الشقة رجل غريب عنهما.

*** ***

انشغلت عزيزة بالرواية التى أعطاها لها صابر. كانت تتخيله يتحرك بين السطور. هو الشاب الأنيق الذى تهواه كل فتيات النادى الراقى. لكنه يفضل البطلة عن باقى الفتيات.

كان صديقا لنبيل. يأتى ليستذكر معه. تتابعهما–هى– في صمت. يقابلها فى الطريق مصادفة يسألها عن نبيل. تسير أمامه خجلة.

لم تكن تدرى ما الذى يدفعها إليه. عيناه السوداوان. أم بشرته السمراء، مثل بطل رواية احسان عبد القدوس. أم حديثه الهادىء المتعالى؟!

ابتسمت له وهو فى حجرة نبيل دون أن يكتشف نبيل هذا. ارتبك ثم ابتسم. اقتربت من حجرتهما لتسمع حديثه– قالت له«صابر» بدون أستاذ.

سارا معا. قال إنه سيتزوجها ويهجر غربال. حدثها عن

مزارعه البعيدة، وقال إنها حياة جميلة عندما يمتلك شاب مثله مئات الفدادين ليعيش من خيراتها.

جلسا معا في أتينيوس. لم تكن قد جلست فيه من قبل. بل لم تكن تعرف اسمه وقتذاك. قال:

– لا أمل.

– فى ماذا؟

– لقد أممت الثورة الأراضى وحددت الملكية.

– وما الذى يضرك فى هذا؟.

– قد أكون يوما مالكا لمئات الفدادين.

(تدرك الآن أنه لايمكن أن يمتلك نصف فدان، حتى إن لم تحدد الثورة الملكية. رغم هذا آمنت –وقتها– بأن الثورة قد ظلمته بتحديد الملكية).

حدثها عن صديقه الذى يمتلك مزرعة كبيرة والذي ينفق فى الشهر مئات الجنيهات وأن هواية ركوب الخيل تشغل وقته دائما. ويتمنى أن يركب حصانا ويسير به فى شوارع غريال.

ركبا تاكسى فى العودة. فهمس فى أذنها قائلا:

– سوف أشترى سيارة مرسيدس بعد أن أكمل تعليمى. لهذا

أذهب إلى صديق لى يمتلك سيارة ليعلمنى القيادة.

حلقت ليلتها فى الفضاء. قرأت قصة سندريلا التى اختطفها أمير الأحلام. فأقام لها القصور. ركبت معه مركبه. ألقت إلى العامة بالذهب. فانحنوا لها فى حياء.

ستفعل مثلما فعلت سندريلا فى غربال. ستفتح النوافذ– هناك– لترى ثوب عرسها الوثير المرصع بالماس والألماظ، وصابر معها يركب حصانه يطوى به شوارع غربال.

*** ***

رأته فى اليوم التالى يخرج من بيته، تابعته، لم تكن مستعدة للقائه. ثوبها عادى جدا. لكنها تتمنى لقاءه.

أسرعت الخطى خلفه. نادته، التفت ،نظر إليها فى ازدراء، سار دون أن يأذن لها بالمسير بجواره لكنها سارت خلفه. لم يقل شيئا فبدأت هى الحديث.:

– أرى نفسى سندريلا وأنت فارس الأحلام.

لم يجبها. أتراه غاضبا منها؟ أو أن الثورة قد أضاعت منه فرصة أخرى؟ خفضت حد ملكية الأرض ثانية .

أجل لاشىء يغضبه سوى هذا.

جلسا فى أتينيوس ثانية. وضع ساقا فوق ساق ورجع إلى الخلف قال بلغته المتعالية:

– قهوة زيادة.

(كم أحبت طريقته تلك فى الحديث. لم تكن تذوق القهوة إلا عندما تمرض بالإسهال. فتأتى أمها بها وتعصر فوقها ليمونة. لتمسك بطنها).

قال مشيرا بإصبعه إلى ثوبها:

– أذلك ثوب تسيرين به معى فى الشارع؟!

بكت خجلا.. إنزوى أكثر فى مقعده. وقال آمرا:

– كفى عن البكاء حتى لاتلفتى النظر إليك.

كفت كى لاتغضبه . قال:

– إن الأكابر يشربون القهوة فى تلذذ. وإن كان هؤلاء الذين أراهم الآن دخلاء على أتينيوس . طبقة صنعتها الثورة.

أدمنت القهوة بعد ذلك. وقالت لكل صديق، أو صديقة تأتى معها إلى أتينيوس. إن هؤلاء الذين يجلسون على مقاعدهم الآن دخلاء على أتينيوس. لم تنس حينذاك أن تقولها باشمئزاز كما كان يقولها هو.

قالت أمها عنه يوما:

- ربنا ينجحه من أجل أهله «الغلابة».

وجدت كلماتها الأخيرة كنغمة نشاز فى لحن جميل. قالت:

- إنه فتى الحى كله. والمستقبل أمامه واسع.

لم تهتم أمها كثيرا بحديثها هذا، وكانت تردد دائما أن أهله فى حاجة إلى مساعدته.

***

سارا بجوار ترعة المحمودية. كان الوقت ليلا، والظلام يلف المكان كله. أمتار قليلة ويصلا إلي شارع راغب أمام الكوبرى. وفجأة رأت فرج أمامها. كانت عربته- التى يجرها حصانه- تتعدى الكوبرى. لعله كان فى زيارة تاجر المواشى فى غيط العنب.

قالت لصابر:

- فرج. فرج.

واقتربت العربة منهما. كان يضرب حصانه باللجام ليسرع أكثر وهو واقف فوق حافة العربة فاتحا ساقيه.

عندما اقتربا منه بهت، لم يستطع أن يسيطر على حصانه

ليقف أمامهما. قالت لصابر:

- أسرع، أسرع، فرج رآنا.

قال في كبريائه المعهود فيه:

- وماذا يستطيع أن يفعل؟!

كانت تعلم أنه يستطيع الكثير. فهو يعتبر بنات الحي قطيعا في واديه، وهو المسئول عنهن. يجلس فوق مقعده أمام زريبة مواشيه. ينظر إلى الذاهبة والآيبة، كملك ينظر إلى رعاياه في ارتياح. كما أنه صديق لأبيها. وكثيرا ما سهرا معا على مقاعده أمام الزريبة. ثم بعد ذلك في بيتهم.. عادت مسرعة إلى البيت، نظرت من الشرفة، لم يعد حتى الآن.

عندما عاد نظر إلى الشرفة. أرادت أن تهرب دون أن يراها..

لكنه لمحها. ابتسمت له لكي تراضيه فيكف عن مواجهته لها.

جلس على مقعده هادئا. ثم زاره زائر جلس بجانبه.. (قد يطول الحديث وينسى ما رآه).

هو دائم الشجار، في اليوم الواحد أكثر من عشر معارك، وفي كل مرة هو المنتصر. عمال الزريبة كثيرون. يأتون إلى خصمه، يفتكون به، ويذهب الى الشرطة، ويعود دون شيء.

بعد أن يذهب زائره، سيأمر رجاله بأن يأتوا بها من الشرفة،

ويقيدوها. يحفرون لها حفرة أمام الزريبة . ثم يرجمونها بالطوب حينذاك، لن تستطيع أمها فك وثاقها، ولن تجدى معه صداقة أبيها له.

***

دق الباب فى المساء، فتحته. وجدت فرج أمامها. ابتسم لها، كم تكره هذه الابتسامة..

استجدته بابتسامتها قال:

– ماما موجودة؟

سارت أمامه فى الصالة، ثم هربت إلى حجرتها، دست جسدها المخدر تحت الغطاء، ظنت أنها لن تنام. لكنها نامت بالفعل. استيقظت فجأة وأمها تهزها فى عنف، وتركلها فى قسوة:

– تريدين أن تفضحينا فى الحى.

سمعتها فى اليوم التالى تقول لفرج:

– لاتمس صابر بسوء. نحن الذين سنسوى هذا معه.

لكنه أصر أن يتخذ موقفا معه. وأقسم بأنه إن رآه يقترب منها ثانية، سيقتله ويرميه فى ترعة المحمودية. جاء نبيل مساء:

– ماهذا الذى يقوله ذلك الأبله؟

عادت الى الوراء. فهى الآن فريسة لمن يريد ان يصطاد،

صرخ ثانية:

- ما لهذا الحيوان يتدخل فى شئوننا.

صفعها ثم فتح الباب وخرج دون أن يسمع منها شيئا.

وعندما جاء أبوها بعد منتصف الليل. لم تكن قد نامت. ولم تستغرب أن يسألها هو الآخر عن حكايتها مع صابر. فهو طوال الليل يدخن مع فرج الشيشة والحشيش.

صارت حكايتها مع صابر حكاية الحى كله.

** ** **

لم تعد ترى صابر كما كانت، وعندما أتت أخته الصغيرة اليهم كعادتها، قالت أمها متوعدة:

- قولى لأخيك أن يبتعد عن طريق البنت. قولى له قبل أن يسير مع بنات الناس، يذهب ليبحث عن أكل عيشه.

وسافر صابر ولم يتبق لها منه سوى كلماته عن نبلاء الفدادين. ونزلاء أتينيوس الدخلاء. والقهوة السكر زيادة.

(٢)

يجد نبيل رابطا قويا يجمع بينه وبين مظلته السوداء، المعلقة فوق السرير. يحاول أن يتذكر بصعوبة يوم أن لفته بدرية بوشاحها الأصفر وبكت. قال لها الطبيب:

- قد يقتل من لفحة هواء. أو رذاذ مطر.

اشترت له يومها مظلة..

يحاول أن يتذكر بصعوبة. كان يحب أمه كثيرا وقتها.

أصدقاؤه يسخرون من احتفاظه بالمظلة، تأثر يوما من سخريتهم فرماها فوق «السندرة» مع الأشياء المهملة القديمة.

نام ككل ليلة. فصحا فزعا. أطرافه ترتعش وجسده مخدر. الجو بارد. نظر في جزع إلى النافذة. لم يجد بها ثغرة لدخول هواء. تذكر حلمه. امرأة ترش الماء فوق رأسه. وصنبور محطم يحاول إصلاحه فيمتلىء جسده وملابسه بالماء.

لو ظل-هكذا- حتى الصباح دون أن يموت، ستكون معجزة.

الجو ليس ببارد فى الخارج. لكن السماء تمطر. صوت المطر أفزعه.. أين المظلة؟ أتمطر فى شهر مايو؟!

هرع إلى الشرفة. لم يجد مطرا . جسده ينزف مطرا . أطرافه صنبور ماء تحطم.

لم تستطع بدرية أن تخفى دهشتها وهى تراه يبحث فى الليل بين أشيائه القديمة المهملة فوق السندرة. لايدرى ما الذى أبعده عن بدرية هكذا؟ تقطعت الأسباب، سلبوها منه، لم تعد تمت له بصلة سوى أنها تترك له نقودا من حين لآخر تحت وسادته.

سألها يوما فى حيرة:

– من أين أتيت.

ابتسمت فى حياء ولم تجبه. قال لها:

– «الداية» التى تولدك لاتمسك مشرطا فى يدها ولاتفتح بطنك. ومع ذلك تلدين .

لم يجد منها جوابا .

يوم أن جاءتها«الداية» لتولدها لم يترك الفرش إلا بعد أن رأي بنفسه من أين نأتى.

عندما قص هذا علي صديقه صابر. ضحك طويلا. سأله عن بعض علاقاته الجنسية حكى له نبيل عن فتاة تمت له بصلة قرابة. وكانت تكبره بأعوام قليلة. كانت تتلذذ بشد جلده. فيتألم

لذلك لكنه لم يعترضها .

عاد يومامن المدرسة لم يجد بدرية فى البيت. لم يجد سوى الفتاة قال لها خجلا:«ألن تفعلى معى ككل مرة؟» جردته من ثيابه. وتجردت هى أيضا . وحملته فوق جسدها . وجد راحة في ذلك. نام بجوارها عاريا .

فى الصباح وجد نفسه نائما فى سريره بعيدا عن المكان الذى نام فيه مع فتاته بالأمس.

قالت أمه متبسمة:

– لاتنم مع هذه الفتاة ثانية.

قال كمن أرادوا أن يحرموه من دميته.

– لماذا؟

قالت فى ابتسامة أكثر اتساعا:

– لأن جسدها قذر.

شعر بالقرف. قال للفتاة.:

– لماذا لاتغتسلين جيدا ..؟!:

بكت الفتاة، لايدرى من أى شئ؟ من حديثه هذا . أم من شيء آخر؟

بعد ذلك لم ير الفتاة فى البيت. وعندما كان يلقاها- خارج البيت- كانت تتحاشى لقاءه.

شعر بافتقاد صابر، حقيقة ، غضب عندما قال فرج عن رؤيته له مع أخته عزيزة على المحمودية.. لكن ذلك زال بعد أيام قلائل لم يقابل صابر فيها. قال لنفسه مخففا من وقع ماحدث:

«ربما هذا لم يحدث بل هو لم يحدث حقا. فقد يكون فرج لم يتأكد من رؤيتهما فى الظلام . كما أن فرجا هذا لايعتد بشهادته.

إنه لايرتاح مع أحد مثلما يرتاح مع صابر وعزيزة أخته. وها هو صابر قد فارقه. وعزيزة صمتت وأغلقت باب حجرتها عليها.

تحاول أمه أن تقترب منه. لكن هو لايستطيع احتمالها، ولا احتمال أبيه.

كان موفقا فى دراسته، مشغولا بها تماما. يغلق الباب خلفه يستذكر. تتباعد أمه عنه شيئا فشيئا.. تدخل فرج فى حياتهم، والخلاف الدائم بين أمه وأبيه. جعله يدخل حجرته ويغلقها خلفه.

لايسمع سوى صوت جرامفونه القديم- يسمع الأغانى القديمة- تدخل عزيزة الحجرة. يحدثها عن هذه الأغانى التى لم تسمعها إلا من جرامفونه.

وأمال الصغيرة تكبر يصل طولها لطول أمه. يضحك، لقد رآها وهى تخرج من احشاء أمه. هاهى الآن تصير أكثر طولا منه ومن عزيزه أخته. وهو كما هو. رؤيته لآمال تجعله يحس بمدي الحالة السيئة التى وصل إليها. لايتقدم فى أى شىء. لا فى الكلية ولا فى أى شىء آخر.

يسمع من خلال الباب المغلق صوت آمال وضحكتها العالية. إنها قريبة من أمها، تكاد لاتفارقها. تبتسم للجميع. لايذكر نبيل أنه رآها عابسة أبدا. حتى عندما يضربها، سرعان ماتبتسم ثانية..

التحق بكلية الصيدلة. لكن التفوق زال بعد ذلك. انشغل بأشياء أخرى غير الدراسة. كان يقرأ فى كل شىء: الأدب، الفلسفة ، علم النفس.

يشرد وهو يسمع الاسطوانات، ويرسب، وقتها كان ينظر إلى أمه فى تحد. وتكتفي هى بالأسى والحزن للحظات، ثم تعود إلى حياتها كما كانت.

أدار أبوه الجرامفون. قال لأمه:

– إنى أمل حياتكم، لا أطيق شقتكم هذه.

ملت أمه ضجيج صفع الباب فى عنف، فقالت لأبيه هامسة،

وفي وجوم:

– ليس هناك سوى أن نبنى له حجرة فوق السطوح.

لايسمع فوق السطوح سوى اسطوانات جرامفونه. وصياح الديكة والدجاج طوال الليل. يجد لذة فى رؤية ذكر البط وهو يصعد فوق ظهر أنثاه، محاولا نقر رقبتها.

**

أجمل أمسيات عمرى قضيتها مع صابر فى حجرتى هذه..

أدير إبرة الجرامفون وآخذ فى شرح كل اسطوانة له..

هو الوحيد الذى أستطيع أن أسهب معه فى الحديث.

لاتضايقنى فى جلساتى معه سوى رائحة دخانه، أستغفر الله، لا أقصد مضايقة بمعناها المقصود به إنما أقصد...

لا أدرى . المهم أنى لا أتضايق منه أبدا . أشعر معه بالسعادة. لم يحاول يوما أن يقدم لى سيجارة. أنا أيضا . أخاف أن يقدمها لى فأرفضها، فيغضب منى.

كثيرا ماحاولت أن أناقشه فى كتبى . لكنه يمل الحديث عن الكتب. كان يهرب من حديثى قائلا:

– عزيزى بلبل. أنت فنان.

أود أن أحدثه، وهو شارد. ينظر إلى دوائر دخانه. لهذا، كانت أترك كتبى . إذا ما جاء إلى حجرتى.

(٢)

لاتستطيع بدرية أن تفهم حقيقة أمرها مع صابر هذا. كانت تحتقره. حجرة عارية وأب مفلس. وأم لاتعرف فى الحياة سوى أن تلد.

رغم هذا يتحدث بأنفه، ويسير منتفخا، وياقة قميصه منشاة. وحذاؤه يلمع. حقيقة لم تستطع أن تستسيغه.

عندما قال لها فرج إنه على علاقة بعزيزة ابنتها. كادت تموت جزعا. فليس هذا هو الذى ترتبط عزيزة به.

فلعلها كانت ستبارك علاقتها بشاب آخر لو كان يروق لها، ولو كان مستقبلها سيكون معه. لكن هذا لايصلح لها زوجا.

لم تكن تدرى -وقتها- أن الأمور ستتعقد، وأن عزيزة سيحدث لها ماحدث.

قال فرج يومها بزهو:

- أستطيع أن أقتله وأضعه فى جوال وأرميه فى المحمودية.

كانت تعلم أن فرجا رغم شراسته. لايستطيع هذا. فليس الأمر مهما عنده لدرجة أن يقتل انسانا..

قالت له:

- دعك منه.

لكنه لم يطع قولها. كان يريد أن يثبت لها مدى حبه وولعه. وماكانت فى حاجة لذلك. فما كانت تريده منه- فى ذلك الوقت- هو ماتستطيع أن تحصل عليه من أموال زريبة المواشى، التى كان يودعها عندها، كان يقول لها:

- هذه الأموال من أجلنا معا. سأتزوجك يا «بدارة» يجب أن أتزوجك. لا أطيق هذه العلاقة أنت لى أنا. لست لهذا الكهل المأفون.

كان حلمه أن تكون له وحده. وشرعت فى بعض الأحيان أن تحققه له. لكنه مات.

قالوا:«بدرية قتلت فرجا، سرقت نقوده التى أودعها عندها واشترت لوكاندتها».

فرج. مازال صوت صراخه يطن فى أذنى. لمسات يده تدفىء أصابعى. لم أقتله.

لاأريد أن أتذكر ماحدث. فأنا الآن «بدارة» أستطيع أن أدفع الكثير. أشترى الناس وأخنق كلماتهم.

اشتريت زوجى محروس، قيدته، وضعته فى درج المكتب الذى يعمل عليه فى اللوكاندة، وأغلقته عليه. صرخ. بكى. لم أخرجه، ولن أخرجه، سأعيد على مسامعه نحيبى وبكائى قبل أن أعرف فرجا.

كان يومذاك موظفا فى مصنع زجاج. يضع أنفه فى كل زجاجة فارغة، يسدها بسبابته، يدون فى دفتر أمامه ما شمته أنفه وما لمسته سبابته، يأتى فى المساء حاملا زجاجة فارغة أخرى، يترنح بها.

كنت أخافه، أرتعد وراء غطائى وهو يصرخ. رائحة الكحول تفوح من فمه. أجرى فى جزع. يعلو صوته يستيقظ الجيران، يبتسمون فى خبث ، عندما لايجد ثمن الخمر، يسرق ملابسى ويبيعها.

خمر وأفيون، وقامة قصيرة ، وصوت مرتفع:اعياء..!

لون أنفه أحمر به خطوط زرقاء أنفر منها. عندما يقبلنى لاأستطيع مقاومة رغبتى فى التقيؤ..

لكننى أحتمله من أجلهم(نبيل وعزيزة وآمال) الى أين أذهب بهم؟.

العالم فارغ ليس به سواه. لم أعتد السير وحدى قالوا «أنت

وهو تشكلان العدد(١٠) عندما تسيران معا. فأنت طويلة جدا وهو قصير».

لكن فرجا كان رحيما. عندما أشكوه له يبكى تأثرا. لم يكن شريرا كما ظنوا.

جاء زوجى ذات مساء، وكنت قد طردته . جاء لينتقم منى، حاول ضربى فسببته.

لم يعد يعنى لى الآن شيئا.. العالم الآن ليس فيه سوى فرج.

ثار محروس وغضب. أمسك بيدى. شدها فى عنف. ضربته بالأخرى.

بكت عزيزة وآمال. وحاولتا تهدئتنا لكن ضربتى له أعمته، فانهال فوق رأسى بكفيه، كان مجنونا، الخمر والأفيون أفسدا عقله، أنفه الأحمر زادنى اشمئزازا منه. رائحة الكحول مازلت أشمها:

- أكرهك، ابتعد عنى، لا أطيقك.

جاء فرج بعد أن سمع صوت صراخى. قال محروس عندما رآه.:

- ها هو عشيقك قد جاء. ماذا تظنينه سيفعل، سيقتلنى؟!

كان فرج حائرا. نظر إلى فى هدوء متسائلا:

- ماذا حدث؟

شده محروس:

- رجل يضرب زوجته. ما شأنك أنت؟

لم يغير فرج نظرته الهادئة لم ينظر إليه، قلت لمحروس:

- عشيقى، ولن أتركه. سأطردك أنت.

ثار محروس، أخذ يدفع فرجا فى عنف، وعزيزة تبعده قائلة:

- دعهما أنت.

وآمال تصدت له بجسدها القوى:

- أخرج من حياتنا.

كانتا تكرهانه. قالت عزيزة لى يوما:

- علاقتك بفرج تكاد تقتلنا جميعا.

إنهما لاتفهمان معنى هذه العلاقة، لاتعلمان أن لولا فرج ما استطاعتا ارتداء هذه الملابس وما استطاعتا أن تأكلا ما تأكلانه، لولاه ما استطاع نبيل أن يظل فى كليته كل هذه السنين التى يرسب فيها.

أبعدت عزيزة وامال التى صرخت وبكت فى جنون. ثار فرج،

دفع محروس فى عنف. لم يتحمل محروس دفعته فوقع فوق المائدة، الخمر والأفيون أهلكاه.

انهال فرج عليه ضربا. وحاولت أن أبعده لكنه لم يشعر بى. دفعته عزيزة وآمال بعيدا عن أبيهما وضربتاه، ولعنتاه بصوت مرتفع . سمعه رجاله فى الخارج.

حاولت أن أبعد فرج عندما حاول ضربهما، فتركهما ونظر إلي غاضبا:

- تدافعين عنه؟! .

قالت امال فى عناد:

- زوجها وأنت غريب..

صفعها فرج، فتعلقت بملابسه، فضربها، وتعلقت عزيزة هى الأخرى دفاعا عن اختها..

كدت أذوب من الحيرة.. وجدته يتركهما وينهال فوق رأسى ضربا. لم أقاومه. ولم أستطع أن أقاومهما وهما تضربانه دفعا عنى.

العالم مظلم الآن. فارغ من كل شىء. حتى فرج أفقده.

هبط وهو يصرخ ويتوعد.

طردت محروسا، وانهلت فوق ابنتى ضربا، تمنيت حينذاك أن أحرق نفسى، أن أموت ولا أجد فرجا يهبط من بيتى غاضبا

مني.

نظرت من الشرفة وجدت مقعده- أمام زريبة مواشيه- خاليا.

بعد ساعات سمعت جلبة وزعيقا في الخارج. كان فرج سكرانا . وقف أمام زريبة مواشيه يصرخ:

- أنا فرج . أتعلمون من هو فرج؟ إنني أستطيع أن أشترى كل الناس بأموالي. لقد خدعتني امرأة وأخذت نقودى، ثم طردتني. لكن ليس مهما ، فستموت الآن، بل الشارع كله سيموت الآن. استعدوا للموت..سأشترى بأموالي المتبقية متريوسا وسأحصدكم جميعا. استيقظوا من النوم لتسمعوا قصتي.

ضحك الناس من منظره وهو يترنح، وبكت آمال:

-سيقتلنا ياأمي.

ونبيل الذى عاد منذ وقت قصير، ذهب ليبحث عن نظارته ليشاهد المشهد بوضوح.

لم ينم الحي. نظروا الى وهم يمصمصون شفاههم.

أين محروس الآن؟ الذى جلب لي كل هذا.. لعله في حانة يبحث عن بائع الأفيون.

صرخ فرج. لولا هؤلاء الناس لاستطعت أن أهدئه، لوضعته

فوق صدرى كطفل صغير. كان سيبكى ويحكى لى حكايته مع زوج أبيه..

«ماتت أمى وأنا طفل صغير، وزوج أبى لم ترحمنى»..

ملعونون هؤلاء الناس، هم وحدهم الذين أفسدوا مابينى وبينه.

- أيها الناس،مازلت فرجا.. لن تناموا قبل أن تسمعوا قصتى كاملة، بل لن تناموا إلا بإذنى.

صرخت عندما رأيته يهوى فوق الأرض، حملوه إلى المستشفى، نظر نبيل الى فى احتقار ولم يتكلم. لم أنم ليلتى تلك. تمنيت أن ارتدى ملابسى وأذهب لزيارته فى المستشفى..

فى الصباح قالوا«فرج مات، ضربته بدرية وزوجها وابنتاها.. قتلوه وسلبوا نقوده» سرت فى الشارع متشحة بالسواد، حافية القدمين، شعرت بلذة وأنا أعبر الشارع فوق الأسفلت الساخن. مروا بجسده أمامى. يده تدفىء أصابعى. أنا لم أقتله، بل هو الذى قتلنى بموته.

أعلم أنكم لن تصدقونى..

وجهه ليس بأصفر كسائر وجوه الموتى..

لو أستطيع لأبقيته دون أن أدفنه ..إننى على يقين أنه لم يمت..

(٤)

بعد موت فرج تحول البيت إلى أشباح، بدرية متشحة بالسواد، رغم أنه لايمت لها بصلة قرابة. تحدت العالم كله وأظهرت مدى مصيبتها بفقده.

تسير فى الشقة هادئة، صامتة، صوتها بح من أثر الصراخ والبكاء، تتحدث هامسة.

وعزيزة قد أصابها الهلع، أعاد موت فرج اليها الأوجاع القديمة. صابر الذى لم تنسه أبدا. ومافعله فرج به. تقضى معظم وقتها فى حجرتها تحملق فى السقف.

ونبيل فى حجرته فوق السطوح يسمع اسطواناته، ويتابع الطيور التى أمامه.

حاولت آمال أن تعيد إلى البيت بهجته كعادتها، لكنها خابت، هى الوحيدة التى تبحث عن الطعام في المطبخ. تعرضه على الجميع. لكن الكل يبتعد عنها، فتتناوله فى المطبخ وحدها.

ضحكت أمام الجميع . لكن الكل ابتعد عنها . فقضت أوقاتها بين حجرتها والشرفة..

ومحروس ليس لديه لقدرة الآن على العودة إلى البيت..

جاء صالح إلى البيت، فتحت آمال له الباب..ابتسم خجلا كعادته، أدخلته حجرة الصالون، وأغلقتها خلفه.

منذ أن التحق بالمعهد الدينى وهو يزورهم من وقت لآخر. ترك اللوكاندة التى أسكنه محروس فيها واستأجر حجرة مشتركا مع زميل له فى المعهد.

قالت آمال لأمها التى كانت شاردة بجوار عزيزة:

- صالح..

لم تكمل. أشاحت بدرية بيدها، وعزيزة لم تجب بشىء ، قالت آمال:

- لابد أن تقابليه يا أمى.

أشاحت بيدها ثانية، أسرعت آمال إليه:

- كيف حالك ياصالح؟

- بخير. أين عمى محروس؟

- إنه فى العمل الآن.

- كان الله فى عونه.

أحست بدرية بأنها لابد أن تقابله، الولد طيب، وله مستقبل

فى بلده، كما أنها تحس بأنه يرغب فى آمال، وآمال كذلك.

صافحته حزينة. وقف خجلا.:

- كيف حالك يازوجة عمى؟

- بخير.

نظر لى آمال متحيرا ، فالمرأة ترتدى السواد. وآثار البكاء واضحة على وجهها كله، قالت آمال:

- قريب لأمى مات.

وقف ثانية وصافحها معزيا.

عندما أحس بأن وضع البيت لايسمح باستضافته. استأذن وخرج من البيت.

***

لايدرى نبيل من الذى أشار على أمه بدرية بأن تستثمر أموالها في شراء لوكاندتها تلك.. ومن الذي أوصلها إلى شارع البير؟.

ربما أن أشياء كثيرة قد حدثت لوصولها إلي تلك النتيجة، وبعده الدائم عن البيت هو الذى جلعه لايعلم بتفاصيل الشراء.

المهم أن بدرية قد اشترت لوكاندتها في شارع البير. منزل

كبير قديم من ستة أدوار. قريبا من سينما ركس التي يعرفها نبيل جيدا. فقد دخلها كثيرا.

شارع البير، وسينما ركس والنساء المصبوغات، عالم آخر غير غربال وأهله الفقراء البعيدين عن هذا .. يشعر نبيل بالرهبة هناك. يلفحه الهواء فاللوكاندة قريبة من البحر. الهواء له طعم خاص، يذكره دائما بأن صدره مثقوب، يتذكر سعاله في المساء والشمسية البالية وهو طفل، وبدرية تشده نحو صدرها في جزع (ليتك يابدرية لم تشتر لوكاندتك تلك).

لم أكن سعيدا بشرائها، لعلي بطبعي أخاف الجديد. كما أن هذا يؤكد بأنها قد سرقت نقود فرج فعلا، وإلا من أين لها بثمن لوكاندة كبيرة مثل هذه؟!

سرت مع صابر كثيرا في شارع البير. لم أكن أعرف اسمه. قالت النسوة في غربال:

– بدرية اغتنت. اشترت لوكاندة في شارع البير.

ضحكن. كررن شارع البير ثانية. لم أفهم قصدهن.

قالت امرأة لأمي يوما:

– يا «بتاعة» شارع البير.

غضبت أمي. وكادت تفتك بالمرأة. لم أحاول منعها. شعرت بضعفي. أكرهها. ألعنها. لا أناقشها فيما تفعله. تخافني- هي الاخرى- رغم أني الأضعف.. تحاول أن ترضيني. اذا ما كانت تفعل شيئا أكرهه، كفت عنه اذا ما رأتني.

كنت بعيدا في صمتي بغربال. أجلس فوق الحجر الكبير، ناحية الجبل. أداعب نظارتي السميكة بسبابتي من حين لآخر. وأشاهد الذاهبات والغاديات، وهن يحملن صفائح الماء فوق رؤوسهن. لكن عالمك يابدرية غريب، أخافه، يشعرني بالتقزز وبطعم الأفيون يوم أن دس بائع الأفيون قطعة في فمي بالقوة وهو يضحك، حينما أرسلني أبي لأشتري قطعة منه.

الهواء البارد يضرب نافذة «المنور» في عنف. يدون أبي في دفتر كبير أسماء النزلاء، يقرأ مايكتبه بطريقة تشعرني بالتقزز، يصل الكلمة الأولى بطرف الأخرى.

جاكتته لم يغيرها منذ أن أحيل الى المعاش- منذ سنوات طوال- الشارع خال من المارة. بعد عدة شوارع ستجد سينما ركس.

كنت صغيرا وقتذاك. وكانت السينما تعرض فيلما. لا أذكر اسمه الآن.

جاكتتى كثيفة كى تدفئنى. ولأن أمى توصى الحائك بأن يعرض كتفيها، كى أبدو بدينا بعض الشيء، لتخفى عن أهل الحى نحافتى الشديدة.

الفيلم الأول: هنود حمر يطلقون النار. وآخرون يصطادونهم، يسلخون رؤوسهم. شردت..جاءت امرأة أكبر عمرا من أمى بدرية، وخلفها أكثر من خمس نساء، جلسن بجوارى، ذهبت بعيدا عنهن، فى مقعد آخر، قال شاب يجلس أمامى:

– عد إلى مكانك وأفعل بالمرأة ماتريد، فهى تأتى إلى السينما من أجل هذا. لم أجبه ولم أغير مقعدى عندما شرع في شغل المقعد الخالي، أسرعت وأخذت مكاني بجوارهن..نظرت المرأة إلي وجهى طويلا، وتشاروت مع امرأة أخرى تجلس بجوارها. لم أفهم شيئا من الفيلم.. لم أر سوي عينيها وهما تفحصانني. قالت مشيرة للهنود الحمر:

– نساء، أم رجال؟

– رجال.

لم أزد عن الكلمة. تابعت عينيها وهى ترمقنى. ثم تداولت مع المرأة. ثم قالت:

– تشرب بيبسى؟

- شكرا.

كأن قلبي ينزف دما، وصدرى ينزف دما أيضا. عرقي بارد.

وضعت يدى فوق مسند المقعد، نخزتها فى جانبها بقوة.

وضعت طفلا فوق ساقيها، أخذته من المرأة المجاورة. وضعت ساقها فوق ساقى. ارتعدت. ارتعشت (بدرية كانت تبتسم لفرج عندما يأتى إلينا. خلعت ملابسها أمامه).

ارتعشت يدى التى تنخز جنبها. دسست خنجرا بجسده. صرخت «قتلنى هذا الولد» ماتت. سال الدم فوق أرض السينما. قتل الدم الظلام. اشتعلت السينما بلون الدم. الهنود الحمر يطلقون الرصاص، يدفعون ثمن ذلك فرو رؤوسهم. قالت:

- اعتدل.

عرقى بارد. عندما أنام يبتل الفراش من عرقى. ذاب المقعد من غزارة ماء وجهى. لم أتحرك، ازدادت حدة صوتها:

- اعتدل.

لم أجد جوابا وقف الشاب الذى حرمته متعة جسدها. قال:

- سأجلس مكانك.

أعطيته المكان دون قول. رأيته يضع أصابعه تحت ملابسها.

وتغطى أصابعه بالطفل الذى فوق ساقيها. هربت من السينما قبل أن يرانى الناس فى الاستراحة..

غطتنى بدرية يومها، أعطتنى الدواء، جففت عرقى، رغم هذا لم أكن أطيقها.

***

قالت بدرية يومذاك بجدية:

– نريد من يشرف على حساب اللوكاندة.

قال محروس معترضا:

– أنا أستطيع هذا.. لقد كنت..

لم تدعه يكمل. قالت محدثة ولدها نبيل(الذى كان بعيدا عنهم كعادته ناظرا إلى كتاب فى يده)

– ألا تستطيع أن تأتى لنا بصديقك صابر؟

نظر إليها فى دهشة. ثم قال فى وجوم:

– ما شأن صابر بلوكاندتك؟

– أليس هو...

– كفى . سأعرض عليه هذا .

ثم خرج من الحجرة.

عادت بدرية إلي زوجها، كانت فى غاية الضيق. قالت:

- أريد صابر هذا.

قال فى دهشة:

- لماذا؟

- أسكت. لى مصلحة فى هذا.

ثم تركته وسارت تاركة اللوكاندة.

لمس محروس الدفتر الكبير.

عدد النزلاء عنده كعدد الزجاجات الفارغة تماما. ليس هناك فرق. لم يكن مكتبه في مصنع الزجاجات خيرا من هذا. كان قذرا. حوله الزجاجات من كل جانب. يدون فى دفتر أمامه- أكثر قذارة من هذا- عدد الزجاجات الفارغة التى تشتريها كل صيدلية.

استطاع أن يميز الخمر الجيد من المغشوش، من رائحة زجاجات الخمر الفارغة، وانتشى بالأفيون. كان عليه أن يتحمل رائحة العفن فى زجاجات الأدوية الفارغة، وغطرسة صاحب المصنع، ولون عينى زوجته بديعة التى تزوجها قبل بدرية.

مات أخوه الأكبر. وترك زوجته بديعة صغيرة لم تزل.

أجل. أكبر منه بسنوات قليلة لاتذكر.

اشتهى جسدها فى حياة أخيه لكنه لم يستطع الاقتراب منها فأخوه هو كل ما له في مصر.. جاءا مع والدهما سيرا على الأقدام من بنى غازى بعد أن ضاقت بهم الحياة هناك. عملوا فى كسح آبار المجارى، وكنس الشوارع، إلى أن مات والدهما ودفن فى ترب كرموز داخل قبر لايعرفون صاحبه، وبمرور الأيام ضاعت ملامح ذلك القبر خاصة أنهما لم يذهبا إلى المدافن منذ سنوات طوال..

وانقطعت الصلة بينه وبين أخيه وأهلهما فى بنى غازى. ثم مات أخوه هو الآخر. وبقى فى مصر وحده دون نصير.

وأصابعه تندس بين أصابع الآخرين يتقبل العزاء. كان يفكر فيها. كان يعتبرها شيئا من الأشياء التى تركها أخوه، ومن حقه أن يرثها: كحذائه الأسود القديم. وحلته التى كان يقترضها منه، اذا ما اضطر الى ذلك.

لم تذهب إلي بيت أهلها، نامت فى حجرتها كالعادة، وهو باق فى حجرته يتقلب وعيناه جاحظتان، وجسدها ماثل أمامه. يراه من خلال الظلام.

أسرع، أشعل مصباح حجرتها، كان التعب من جراء

الصريخ والنواح قد أسكنها الفراش، وكأنها هى التى ماتت.

لمس بأصابعه جسدها. ارتعدت، استيقظت جزعة.

شدت يده فى عنف وزفرت فى غيظ:

- ماذا تريد يامجنون؟

كان مجنونا حقا بجسدها، جلس على حافة الفراش، فدفعته بساقها وصرخت:

- تريدنى يوم أن مات أخوك؟

تباعدت رؤية جسدها من أمامه. تذكر جثمان أخيه وبكاءه عليه، والأصابع وهى تندس فى كفه والشفاة وهى تتمتم بالعزاء له:

خرج إلى الشارع وهى تطارده بالسباب. توارى عن الناس. لعن نفسه. لم يذهب إلي البيت إلا فى الصباح. كانت الظنون تلعب به ما تشاء. ظنها ستذهب إلى أخوتها وتقول لهم عما حدث، وأن قصته ستكون على كل شفاه لكن أخوتها لم يقولوا شيئا، شدوا على يده معزين.

وبديعة-هى الأخرى- لم تتغير. ذهبت مع النسوة إلي المدافن وعادت فى المساء.

عندما رجع الى البيت كانت نائمة . فكر.. أوحى له شيطانه.
بأن عدم شكواها لاشقائها معناه أنها تهواه وأنها لن تعارض
هذه المرة.

أحدث بابها صوتا أخافه لكنه لم يتراجع. كانت نائمة
كالأمس تماما. جلس على حافة السرير، طال به الوقت وهو
جالس ينظر إليها. عاني كثيرا حتى لمس جسدها بأصابعه.

انتفضت. رمته بعيدا بساقها وصرخت:

– ياناس ياهوه. هذا الحيوان يريدني بعد موت أخيه.

(قالت له بعد زواجهما بأنها كانت متصنعة النوم ليلتذاك
لعلمها بأنه سيأتي اليها الليلة).

استيقظ الآخرون، هرب. رأوه وهو ينزوى فى الحائط. بحث
أخوتها عنه، قالوا له:

– سنقتلك إن لم تتزوجها.

وهو غريب. جاء مع والده وأخيه، فذهبا وبقى وحده فى مصر
كلها، وأخوتها أقوياء فتزوجها صاغرا..

***

تجشمت المشاق وتزوجت بدرية قالوا«لن تصلح لك زوجة،

فهى جميلة وأنت والله أعلم بحالك كما أنها صغيرة وأنت عجوز.

كانت بديعة قد أضاعت شيئا من كرامتي أردت أن أسترده بزواجى من بدرية الفتاة الصغيرة الجميلة التى كانت تدعونى بعم محروس، وتسمح لي أمها بأن أبقى معها وقتا من الليل.

أمها عجوز لاتكف عن العمل، تحمل صرتها وتنتقل من بيت إلى بيت، تبيع الأقمشة للناس فى بيوتهم. مات زوجها وترك لها بدرية. وأخرى تزوجت منذ وقت قليل..

لم تتزوج المرأة من أجل ابنتيها..قالت للنسوة مزهوة:

- بدرية تزوجت من موظف قد الدنيا..

كانوا يجهلون أمر الخمر والأفيون.. بديعة لم تبق لى جهدا أدخره لبدرية. أنهكت قواى من الثورة عليها والجرى بين المحاكم والمحامين بعد أن تم الطلاق

قالت لى امرأة مجربة، بعد أن علمت بأمر زواجى من بدرية «أحضر قطة يوم الدخلة واحبسها. وفى الصباح مرها بأن تحضر لك كوب ماء وبالطبع لن تفعل القطة ذلك فتهم- أنت- بذبحها أمام زوجتك. فستطيعك بعد ذلك ولن ترفض لك أمرا».

ماتت- تلك المرأة- ليتها بقت لكى ترى ماتفعله بدرية بى الآن.

أجل. كانت محقة فيما رأت. ظننتها بلهاء، فلم أطعها، لم أحضر القطة يوم الدخلة.

كنت مجنونا عندما ظننت أن تلك الفتاة البائسة ستطيعنى وتعوضنى عن جحيم بديعة، دون ذبح قطط..

***

قال محروس لبدرية:

- مامصلحتك فى أن يعمل صابر عندك فى اللوكاندة.

قالت:ضجرة:

- لأزوجه عزيزة.

-٥-

تريد أن تشتـرى زوجـا وتهـديه لى، جـاءت به من صـندوق الزبالة. وسكبت فوق جسده برميلا من الكولونيا. قالت يومذاك وهى تركلنى بقدمها:

- صابر هذا لايصلح زوجا. إنه يعيش مع أسرته في صندوق زبالة.

لكنهـا ترضى عنه الآن. رغم أن صـندوق الزبالة مـازال موجودا، قالت متوددة:

- سآتى بصابر ليعمل فى اللوكاندة.

كرهت كلماتها. لاأريد أن تهديه لى. إننى أعرف كيف أشترى أشيائى.

حائرة لاأدرى ما أفعل. ولا أعرف حقيقة مشاعرى. العالم عفن، العالم غبننى. قالوا«أمها أكثر منها جمالا. وأختها الأصغر أكثر طولا وعرضا».

لست بالدميمة. لكن جسدى نحيل، قصير. آمال الوحيدة التى أخذت طول أمى وجمالها، وأنا ونبيل كان من نصيبنا جسد أبينا الضامر القصير.

لكن رغم هذا وجدت من يرضى بى، بل وجدت الكثير.

بعد أن طاردوا صابر. بحثت عن غيره. وجعلتهم جميعا يتعلقون بى وكان تعلقهم وانشغالهم بى إيذانا بقطع العلاقة معهم. كأنني فى حاجة لمن يعطينى الثقة فى نفسى- لا أكثر.

***

دق قلبى فى عنف. هل أريد أن أقابل صابر ثانية. أم أن التراب الذى علا ذلك الحب ومحا وجوده مازال موجودا .

شعرت بلهفة فى أن ألقاه. أمازال وسيما كما كان، وعيناه تبرقان،. أم أن الزمان قد أخناه وهده. بعد مطاردة فرج له، ترك الحى، قالوا إنه يرافق اصدقاء آخرين فى حى بعيد.

ابتعد عن حينا طويلا، سمعت من النسوة أنه جند فى الجيش وذهب ليحارب فى اليمن.

عرفت فى غيابه الكثيرين، لكن ظل طيفه يترنح، يخبو ليعود ليزهو ثانية. قالوا:« عيناك جميلتان. شعرك ناعم. جسدك دافىء».

هو لم يمتدحنى مرة، رغم هذا كنت أفتقده.

تطورت علاقتى ببعضهم، فوصلت إلى القبلات وهو لم يقبلنى

مـرة. ولم تمس يده أصـابعى إلا عندمـا كنا نتلامس فى الطريق وأيدينا متشابكة.

رغم هذا افتقدته. ودائما أذكر كلماته أمام من أعرفهم.

***

يوم أن جاء صـابر كانت الأسـرة كلها في انتظاره وكأنهم في انتظار ضـيف كبير.

تأكدت بدرية مـن أن عزيزة قد مكثت فى الحـمـام طويلا. وأن رداءها يصـورها في صـورة أكثر طولا مما هى عليه. وأن حذاءها عالٍ لتبدو أكثر طولا.

جاء مـرتديا حلة قـديمة، وحـذاؤه الذى يلمع بدا قـديما. وآثار اصـلاحه المتكرر بادية عليه.. وربطة عنقه متـآكلة الأطراف. كان واضـحا مدى تعبه.

صـافح صـابر الجـمـيع فى خـجل. ضـحكت آمـال من منظرهـم وهـم يلتفون حوله بملابسهم الزاهية كأنهم في حفل. تذكرته أيام كانت صـغيرة، فترسلها عزيزة إليه برسالتها. كانت آمـال تؤدى دورها بإتقـان. تذهب إلى بيتـهـم. تدخل حـجـرتـهم الوحـيـدة متظاهرة بأن سبب مـجيئها هـى أخته الصـغيرة. وفي الوقت المناسب تدس الرسالة فى يده.

الآن هى تدهش مما كان يحدث، ما الذى جعل عزيزة تتعلق به هكذا، حتى أنها مرضت بعد أن اكتشف فرج أمر علاقتهما، وبكت الأسرة كلها من أجلها.

ولاتدرى ما الذى يميزه، حتى تظل عزيزة متعلقة به هكذا. فلا تذكره إلا بالخير. فى كثير من المناسبات تشرد عزيزة وتمصمص شفتيها حزنا، فهناك شيء أو أشياء ذكرتها به.

عندما جاء صالح لم تعجب عزيزة به. بل سخرت منه، لكن آمال أحست بأن نوعيته أحسن ألف مرة من نوعية صابر. فهو أكثر جدية منه. يقضى أوقاته فى أشياء مفيدة، يقرأ كثيرا. ويحلم بأن يعود إلى بلده وقد أصبح معلما.

أضاء موافى- خادم اللوكاندة- كل الأضواء، دون أن ينبهه أحد لذلك، فقد كان استعدادهم للقائه بهذا الشكل يوحى بمدى أهميته.

تأفف محروس وابتعد بعد أن صافح صابر. ثم أخرج علبة سجائره الصدئة وأشعل سيجارة.

سار نبيل مع صابر. أخذه إلى حجرة خالية، يضع فيها ملابسه وأشياءه. خلع ربطة عنق صابر. وقدم له واحدة جديدة. ربطها له، فاكتشف أن فانلته الداخلية متسخة وممزقة.

سأله عما حدث له. فمن المعروف أن صابر قد عاد من حرب اليمن بمبلغ كبير. قال صابر:

– كــان كل همي أن أهرب من سكني في غـــربال . لذلك استأجرت شقة وأثثتها . فأخذت كل ماتبقى معي.

لكن البعض يدعي بأن صابر قد أضاع كل ما معه علي البنات والنساء، والمظاهر الكاذبة. لدرجة أنه كان يشترى اشياء لايحتاج إليها متشبها بالاغنياء.

سارت بدرية وخلفها عزيزة وآمال. ومحروس مازال يداعب سيجارته باصابعه وأظافره السوداء. قالت:

– تعال لتشاهد اللوكاندة كلها .

السلاملك الحلزوني يقهر نبيل إذا ماصعد فوقه حتى الدور الثالث.

عزيزة تبدو سعيدة، تدور حول صابر تتابع كل شيء فيه. ونست وجود الجميع حولها . لماذا تفعل بدرية هذا، أتظن أن صابرا لايعرف عزيزة، أنسيت قصتهما معا، ومعنا جميعا ووقفتها هي بالذات ضده.

يعرف نبيل أن بدرية ليست في حاجة إلى كاتب حسابات للوكاندة. فأبيه يكفي، بل آمال الصغيرة تستطيع هذا بسهولة،

مادامت الدفاتر تذهب من وقت لآخر للمحاسب القانونى لعمل اللازم.

إنما بدرية تريد أن تصنع قصة غرام أمامهالتباركها.

- لايضايقنى فى اللوكاندة سوى كوم الزبالة الموضوع أمامها، إنه يسبب زيادة الذباب فى اللوكاندة

صابر لايعلق يتصنع العظمة. يراقبه نبيل من أسفل السلالم، تنحني بدرية أمامه.

- جو اللوكاندة بعد الظهر هادىء. النزلاء ينامون. أو يخرجون عادة بعد الظهر.

عزيزة حائرة بين الوجوه الكثيرة.. تتابع خيوط أنف أبيها الحمراء، ثم وجه نبيل ونظارته، تتابع انحناءات بدرية فى صمت، ثم تستدير لتتابع تحركات صابر.

- شارع البير امتلأ بالبورمجية. أنا لاأخافهم، بوليس الآداب كله ملكى. أشتريه بنقودى. أحتاج أحيانا للبورمجية ليستخلصون النقود من النزلاء الذين يمتنعون عن الدفع.

ليس هناك أصعب من صعود سلالمك بدرية.

الضوء خافت في الدور الثالث. النزلاء ينقرضون في الشتاء.

يموتون من شدة البرد.

- الحجرة ٢٧أجمل حجرة في اللوكاندة.

تفتحها بديرة له. ثم تفتح النوافذ والشرفات:

- انظر. يمكنك أن تتابع الاسكندرية كلها، لا أرتاح لأى حجرة مثلما أرتاح لها. الشمس لاتتركها طوال النهار.

سريران، ملاءات بيضاء، وجه موافي الخادم يطل بشاربيه الطويلين.

تحب بدرية الحجرة ٢٧ لكن نبيل يكرهها، فهى تقهره دائما..

أربعة أنوار، وسلاملك حلزونى، وصدر مثقوب: معادلة لاتتفق..

في لحظات قصار صار صابر سائحا عظيم الشأن. تقوم بدرية بنفسها لتريه اللوكاندة ومعالم شارع البير، ها هو ياسيدى السائح العظيم شارع البير ذو التاريخ القديم، وملوك الليالى الحمراء. والبارات وورق اللعب ، والانجليز، وصابغو وجوه النساء. سارقو الأعراض. بائعو الرقيق الأبيض.

يأتون بتجارتهم من قلب الريف. ليقدمونهن للسائحين أمثالك. هدية ليهتكوا عوراتهن ، ويسلخوا جلودهن.

معذرة. مولاى وسيدى السائح العظيم.

قالت بدرية:

– هذا مدخل خاص للسطوح. وحجرة للغسيل. سترتاح حتما في لوكاندتنا..

-٦-

كرسي الاستقبال الكبير. وعيناه السوداوان الكبيرتان.

وضع ساقا فوق ساق، مثلما كان يجلس فى أتينيوس منذ سنوات (مازلت أحب فيه تلك الثقة). قال:

- أول مرة أجلس معك وحدنا. منذ أن أتيت إلى اللوكاندة.

- أنت لاتبغى هذا.

- الحقيقة أنا حائر. أحاول أن أغفر لك ما اقترفتيه في غيابى.

لم أسمع باقي قوله. شعرت بالهوان، يريد أن يعزف على أوتارى الحزينة. قلت:

- ماذا تقصد؟

اعتدل، ثم شد جسده للخلف فى كبرياء.

- لاتستطيعين أن تنكرى أنك أقمت علاقة مع شبان ليسوا من مستواى.

- لم أجدك أمامى. لقد تركتنى وحدى وهربت.

صاح غاضبا:

- لم أهرب، لكننى لا استطيع أن أتعامل مع انسان مثل

فرج.

- ليس مهما الآن ماحدث، لقد حاولت أن أنسى بهم حبك. لكنى لم أستطع.

انسابت الدموع فوق وجهى.

(كان «على» يعلم بعلاقتى بصابر. كان صديقا له ولنبيل. وبعد غياب صابر حل هو محله لدى نبيل اخى. كانا يستذكران معا، يتناقشان ، يلعبان الشطرنج، وأنا خاوية. أكاد أجن.

تركني صابر- طاردته أمي وفرج. فذهب بعيدا. تآمرت كل الأشياء ضدنا. الظروف والناس ولم يصمد صابر.

ووجدت(عليا) شيئا آخر غير صابر. طويل، خجول. عندما اقترب منه- يقف- اذا كان جالسا. قال نبيل عنه:

- على شاعر كبير.

واحمر وجهه خجلا وارتبك، سمعت منه كلمات غير مفهومة. نوع جديد. شاعر خجول جاد يقرأ كثيرا فى كتب لم أسمع عنها من قبل. غير روايات احسان، وكتب نزار التى يهديها صابر إلىّ بكثرة.

لمست أصابعه وأنا اقدم له صينية الشاى. ارتعد خجلا

تراجع حتى تساقط الشاى فوق ملابسه. رشَشته يوما بالماء وهو جالس بمفرده. وقف مذعورا . ونظر في كل مكان مرتبكا فوجدنى أمامه.

ابتسم وهو يجفف قطرات الماء من فوق ملابسه ووجهه. بعد ذلك تابعته وهو يبحث عنى كلما جاء. يترك نبيل ويختلق الأشياء اللقائى. يكتفى بعد كل هذا بكلمة تحية.

أرسل لى خطابا، دسه فى يدى بعد أن اختلى بى. وأبيات شعر يتغزل فيها بكل شيء فى، حتى اسمى،

وأرسلت له خطابا لم أحس فيه بما كنت أحسه وقت كنت أكتب لصابر. أحسست بأننى اكذب.

لم يستطع أن يملأ المكان الذي تركه صابر فارغا في نفسى كلها، بدأت أفقد ايمانى به يوما عن يوم.

قالت آمال– اختى– وقتها:

– على، في رأيى أحسن ألف مرة من صابر. على الأقل له مستقبل أوفر.

حاولت ..سرت معه في الشوارع. ذهبت إلى بيته.

تركتنى أمه معى للحظات. قلت:

– أريدك أن تكتب فى قصيدة أخرى:

– كل ما أكتبه لك.

لا أريد منه سوى أن يمتدحنى. أن يصف شعرى الأسود وعينى. الفرق كبير بينه وبين صابر، مع صابر أنا لاشىء. تابعة ذليلة. ليس لها إلا أن تسير خلف أليفها. تسمع ولاتبدى رأيا.

أما«على» فهو الذى يطيع وهو الذى يتبعنى، وينحنى عندما يحدثنى، كان ينتظرنى أمام المدرسة قلقا. أسير معه خطوات، أحكى له حكايات وهمية : مدرس الرياضة عينه منى، أراد أن أقابله خارج المدرسة، لكنني رفضت.

ويصدقنى على التو، يطلب منى أن أتخذ موقفا، ويعرض خدماته بأن يتدخل ليمنع ذلك المدرس الوهمى من التحرش بى.

آخذ قصائده، وأمر بها على صديقاتى، تضحكن ساخرات من كلماته. قالت واحدة منهن:

– عزيزة على علاقة «بفقى».

***

نظر صابر إلى الدفتر الذى يقيد محروس فيه اسماء النزلاء وعددهم:

– مائتان وخمسة نزلاء، كم مصرى وكم ليبى.؟

صرخ فيه:

– ماهذا . مائتان وخمسة نزلاء فى الشهر؟! خطأ.

شد الدفتر من بين يديه فى عنف.

تباعد محروس، غار نبيل– هو الآخر– في مقعده(أخاف عينيه عندما يغضب، هذا لايمنع من أنني أحبهما فى بعض الأحيان).

ابتسم صابر لمحروس ساخرا:

– فق لنفسك، كف عن هذا «الهباب» وقت العمل.

ارتفع صوته ومازالت أصابع محروس تلمس حافة الدفتر:

– بدرية. بدرية.

جاءت بدرية تشد ثوبها حول خصرها ، ابتسمت له:

– ماذا حدث؟

– انظرى ، سيخرب بيتنا مع الضرائب، مائتان وخمس ليال. قيدها مائتين وخمسة نزلاء في الشهر.

اكتفت بأن نظرت إلى محروس فى وجوم واستخفاف. قال محروس فى ضعف:

– لقد نسيت

يكره نبيل والده في هذه الأوقات.

سار صابر أمامه غير عابىء بهواء البحر مثله. جلس بجواره. ضرب على ركبته قائلا:

– فيما تفكر يا بلبل؟

منذ أن عرفه، لم يقل له «نبيل» .تراه يكره كلمة«نبيل» هذه.

بدرية، أيضا– منذ أن جاء لاتقول له سوى «بلبل» فهى تفعل ما يأمرها به دائما.

***

جاءت الغسالة في الصباح، قالت بدرية لي:

– ابتعها يا نبيل حتى حجرة الغسيل.

تعلم بدرية أننى أكره السطوح، وأكره سلا ملكها الحلزونى.

تابعت المرأة، قلت لها:

– الغسيل، في حجرة الغسيل.

لم تجبنى..

عندما بلغنا الدور الرابع.. وكان قد أنهكني التعب. قلت:

– الجو هنا هادىء جدا النزلاء لايفضلون الصعود حتى الدور الدور الرابع. ابتسمت وأنا أكمل.

- ريما، لأن أكثرهم من الشيوخ.

ابتسمت هي الأخرى دون أن تجيب. قلت إنها أحسن حجرة في اللوكاندة. الشمس لاتتركها.

المرأة تمل حديثي. لاتهتم بي. فهي تعرف كل شيء عن اللوكاندة. وربما سمعت مثل هذا القول من قبل. قلت وأنا أدخل مدخل السطوح:

- ذلك الدرج الخشبي، يصنع ضجيجا اذا ماصعد فوقه أحد.

وأمأت برأسها، طلت إلي حجرة الغسيل. قالت مشيرة إلى الغسيل المتراكم أمامها:

- أهذا كل الغسيل؟

- لاأدري . لعل عند أمي غسيل آخر.

- ليس مهما.

خلعت ملاءتها ورمتها بعيدا. سارت في الحجرة. رمت -بقدميها- الغسيل المتناثر أمامها.

لم أستطع أن أصرح لصابر بمدى تعلقي بهذه الغسالة(هذه الأشياء من أسراري التي لا أبوح بها لأحد، فهي ممتلئة وأقرب

إلى الدمامة، وسيعجب أى إنسان من تعلقى بإنسانه كهذه).

لا أدرى ما سبب تعلقى بها، إلا أنها تشبه المرأة التى جاءت لتسكن حجرة من حجرات بيتنا فى غربال قبل أن تشترى بدريه لوكاندتها تلك.

عـارض أبى فى أن تسكن بيـتنا. لكنهـا بكت. فـرقت أمى وعزيزة لحالها. قال أبى:

- أخشى أن تسبب لنا المتاعب.

كانت الحـجرة التي تسكنها داخل شقـتنا، مـحاولة من أمى لزيادة الدخل، قبل أن تصل لنقـود فرج. ذات يوم وبدرية وباقى الاسرة خارج المنزل. سمعتها تغنى فى حجرتها، بعد أن أدخلت ماء كثيرا إلي حجرتها(بما يفيد بأنها ستستحم، فقد كان من الصـعب الاسـتـحمـام فى دورة المياه المشـتركة والمطلوبة دائما للجميع).

حـملت سلمـا ووضـعـتـه علي بابهـا. وصـعـدت فـوقـه، شـاهدتها-من شـراعة البـاب- عـارية تمـامـا فى الطشـت تسكب الماء الساخن فوق جسدها، والوابور (يشو) بجانبها.

صوت احـتكاك السلم- المتنقل- بالبـاب لفت نظرهـا، فنظرت الى الشـراعة وابتسمت، وأنا لم أخجل ولم أهرب. ظللت أتابعها

وهى تقوم بعملها كأن شيئا لم يكن.

بعد ذلك عقدت معى صفقة، بأن أعطيها سكرا وسمنا، وكل ما تحتاج إليه من بيت بدرية، نظير أن تسمح لى بأن أمر باصابعى فوق جسدها.

أحسست وقتها وكأن أصابعى عنكبوت يمر فوق جدار قذر.

هجرت المرأة المنزل. بعد أن علمت بدرية بأنها هاربة من بوليس الآداب.

لم أرها طيلة ثلاثة أعوام. ثم رأيتها فى أحد شوارع الاسكندرية. وكدت لا أعرفها. لكنها نادتنى . فقد تغيرت ملامحها . وصارت بعين واحدة . سألتها عن هذا قالت:

– حدث هذا بسبب مشاجرة فى البيت الذى أسكنه.

لكن صديقا أكد لى بأن عينها قد فقئت نتيجة لحادث مع بوليس الآداب.

***

أدرت أبرة الجرامفون، دخن هو سيجارته. شعرت بخيبة أمل بدرية وهو يحكى لى عن فتاة قابلها على محطة أتوبيس. ٢٠ بالمنشية. فهى تريده لكى يتزوج عزيزة التى كبرت فى السن دون

زواج. سار بفتاته في شوارع المنشية، دخلا معا سينما فريال. كانت سمراء ، دافئة، نامت فوق كتفه، قالت:

- لاتطل . فقد تنار السينما فجأة. ويرانا الناس.

..عالمك يبهرنى، رائحة البرفان. والستائر البنفسجية، والأحلام البنفسجية أيضا.

الواقع المادى يقتلنا جميعا، كوب الشاى الذى فى يدك ليس بكأس خمر.

بعد عدة حارات وشوارع ستجد ترعة المحمودية ، عفنة.

أنت الوحيد الذى يحول غربال إلى «الريفيرا»، والعالم كيوتوبيا، خيال أحبه.

دعنا نعود لفتاتك السمراء الدافئة. صف لى ثوبها، لونها، طول رموش عينيها، رائحة العرق تحت إبطيها.

جرامفونى مل الغناء، وأنا وأنت لم نمل.

أختى عزيزة سارت معك، على ترعة المحمودية، لم أركما، لكننى أعلم أنها فعلت هذا، بهرها عالمك كما بهرنى.

أتعرف عمليات غسيل المخ؟.

دعنا من الأحاديث التى لاتروق لك.

عزيزة تحمل أنوثة ناضجة، أعلم أنها قصيرة، لونها أصفر، لكن الكثيرين رغبوها.

علمتها اسماء البارفانات. تحدثني- للآن- عن برفانات باريس. عن اللون الارجواني الذى لا أعرف مكانه للآن.

تكره مثلك روائح مصر. تقول إنهم يصنعونها من كحول ردىء. وألوانهم باهتة. وجواربهم سرعان ما تتآكل.

لكنك ياصديقى لم تصمد، عندما واجهوك ببنادقهم، هربت. تركت كل شىء. لم تكن تعلم أن بنادقهم فارغة. وأقوالهم لاتحمل معانيها.

قلت لعزيزة يومذاك: لوكان يحبك حقا. لصمد للنهاية.

فتياتك كثيرات، أعلم هذا- اسماؤهن تحتاج «لسجل مدنى» عيونهن تحو ى ألوان عيون بنات العالم.. لكن عزيزة مازالت تحبك، أعلم ياصديقى.

سارت مع الكثيرين لكنها لم تنس طريقة نطقك الكلمات. لا. لست شاذا لأنى أحدثك- هكذا- عن أختي. .. إننى أعرف ماحدث، لكننى أخفيه، وأنكره بإصرار، لاأقول هذا لأحد، ولاحتى أنت..

كلهم لم يؤثروا عليها. مثلما أثرت أنت..

أعرف عزيزة جيدا. هى الوحيدة التى تفهمنى في هذا البيت. أحبها كثيرا. حاولت أن أسألها عنك لكن حيائى منعنى. أعلم أن هذا جبن منى.

جرامفونى توقف. آثر الصمت، وأنا شارد وهو الآخر شارد. يتابع دخان سجائره.

أنت الوحيد الذى أستطيع أن أحكى له، لعلك بطريقة ما تأخذ منى ماتشاء.

أتعرف عمليات غسيل المخ. كلا. لا أقصد شيئا..

ترددت قبل أن أقول لك، لكن عينيك، عيني راسبوتين تابعتانى. جردتانى من ثيابى. سأقول لك كل شىء. بك سحر لا أدرى اين مكمنه.

راسبوتين خدع الناس. أقنعهم بأن عليهم أن يرتكبوا أخطاء جديدة. لكى يجدوا مايستغفرون من أجله بعد ذلك وما يتوبون عليه.

***

بدأ الصيف وبدأ الضجيج. مصيفون ينامون هنا. ورحلات شركات ومدارس.

أستعين على الشقاء بالأفيون. بائع الأفيون في حارة «البطرية» القريبة من هنا، يبصق في يده قبل أن يقطع لي قطعة. سألته بأن يزيد شيئا. قال في هدوء:

– كفى.

ألححت . فأمسك بيدى وركلني في بطنى. تألمت لكننى لم أخرج صوتا.

عندما وصلت إلي اللوكاندة. شعرت بمغص فى بطني. وضعت يدى فوق الألم. كانت بدرية وصابر يجلسان معا، يحتسيان البيرة، نظرا نحوى دون اكتراث . اقتربت منهما أخرجت آهة كبيرة. لم يكفا عن حديثهما الضاحك.

جلست بجوارهما .قلت دون أن أنظر نحوهما.

– مغص في معدتى.

نظرا إلى . استطعت أن أشدهما نحوى.

قالت بدرية في تقزز:

– اشرب مشروبا ساخنا.

عادا ثانية لحديثهما.

صابر هذا فرج جديد، ولكن فى عهد فرج لم أكن قد ضعت إلي هذا الدرك أمام بدرية.

كان فرج يبتسم في وجهى. ولايناديني إلا بكلمة «عم محروس».

نجلس معا ندخن. اهدانى قطعة حشيش فى أول لقاء بى(في المرات السابقة كان يكتفى بتحيتى من بعيد) قال لى يومها:

– قطعة صغيرة . لتعمر بها رأسك.

لففتها في سيجارتين، تقززت بدرية يومها. ضممتها لصدرى، قلت لها:

– الولد فرج ابن حلال حقا. رغم ما يدعيه عنه البعض من شقاوة.

قالت ساخرة:

– أنت «مسطول».

لم أكن أظنه يشدنى للقائه من أجلها هى.

أرسل لى كميات كبيرة من اللبن هدية. قالت بدرية:

– اذهب ، وادفع له ثمن اللبن، لانريد «جمايل» من أحد.

ذهبت إليه ، وقفت مبتسما، قال لصبيه:

- مقعد لعمك الاستاذ محروس.

- شكرا.

- الزريبة نورت.

قلت محاولا أن أهرب من كلماتهاالكثيرة:

- الحقيقة يامعلم فرج، لقد جئت لكى أدفع ثمن اللبن.

قاطعنى غاضبا:

- لاتكمل. هذا اللبن هدية منى، وأنا وزريبتى تحت أمرك.

حاولت أن أرد عليه لكنه لم يترك لى فرصة.

- الحمد لله أن كان اللبن سببا في حضورك الينا.

رأيت بدرية تلم الغسيل.. نظرت إلىّ ثم تركت الغسيل واكتفت بملامسته. وأغلقت الشرفة بصوت مسموع لنا.

- أنتم زينة الحتة أخلاق وذوق وأدب.

أخرج من سترته قطعة حشيش كبيرة، قطع منها قطعة بأسنانه ورماها في فمه. والأخرى(وهى الأكبر).أعطاها لى:

- خذ ياعم محروس، عمر رأسك.

تكرر مشهد جلوسى بجوار الزريبة، والشيشة أمامنا، والفحم

والحشيش، وصبيانه يقومون بخدمتنا وكان لابد بأن أرد له دعوته في بيتى.

صرخت بدرية بعد أن خرج فرج من البيت، سبتنى:

- البيت ليس محششة، تدعو إليه من تشاء.

***

قالت بدرية بعد أن ضاقت بجلوسي بجوارها:

- أما زالت بطنك تؤلمك؟

قلت متنهدا:

- تؤلمني ، أو لاتؤلمنى ، سيان.

عادت ثانية لحديثها معه..

هذا الولد يشعرني بالتقزز. يضع ساقه فى وجهى، يتمدد فى مقعده بكبرياء، ويتحدث بكبرياء.. هبط نزيل بعد لحظات. وضع مفتاحه فى مكانه، عندما لم يجد النزيل أحدا أمامه، وقف صامتا، منتظرا. لم أهتم، قال صابر في عجرفة ملحوظة:

- محروس ، اذهب لترى مايريد.

قلت متصنعا عدم السمع:

- ماذا؟

نظر اليها ولم يقل شيئا. قالت هى:

– اذهب يامحروس.

شددت ساقى وذهبت الى النزيل. بقيت فوق مقعدى بعيدا عنهما.

أخرجت مافى سترتى، وضعتها فوق المكتب: منديل متآكل، مفاتيح، وبضعة قروش.

النقود تتناقص، ماذا أفعل إذا لم أجد ثمن الأفيون؟!

قلت موجها حديثى لبدرية:

– أريد نقودا ..النقود نفدت؟

قالت بدرية فى ضجر:

– اصمت الآن.

جمعت أشيائى. وضعتها فى سترتى ثانية. هذا العالم بدون أفيون لايساوى شيئا.

قالت لى عزيزة منذ أيام قلائل:

– لماذا لاتكف عن تعاطي الأفيون، حاول.

– ليتنى أستطيع.

حاول رجل أعرفه، فمرض وسال لعابه، ومفاصله فقدت

القدرة على الحركة. كاد يموت. فاضطر أن يعود اليه ثانية.

طعم الأفيون مازال في فمى، استطيع الآن أن انتشى بكوب شاى ساخن، نظرت حولي فلم أجد موافيا ولا أى عامل من عمال اللوكاندة، ناديت بصوت مرتفع:

– ياموافى.

نظرا إلى معا، مازالت ابتسامته البلهاء تعتلى وجهه. وبدرية يزداد وجهها إحمرارا، وتحرك يدها فى عصبية. أعلم أنها تكاد تنفجر.

– ياموافى.

قالت:

– ماذا حدث لك اليوم. جننت؟

سمعته يتحدث بصوت خافت ابتسمت هى له. لعله يسخر منى. قلت:

– ماذا حدث. ألا أستطيع أن أشرب شايا؟!

لم تنظر نحوى، لا أدرى إن كانت سمعت ماقلته أم لا، فقد قلته بصوت أكثر خفوتا.

رشفت الشاى بصوت مرتفع، تعودت أن أشرب بهذه

الطريقة. ولو لم أكن هكذا، لشربته أيضا بهذه الطريقة الأثيره.

قلت:

– بدرية!

لم تنظر نحوى. كانت مأخوذة بوصفه لها، كررت النداء:

– بدرية!

قالت ضجرة:

– نعم ها أنا قد التفت اليك.

قلت فى هدوء:

– نقودى نفدت.

رأيته يعتدل فى جلسته، ويقترب منها هامسا، قالت بدرية:

– إذن ليس له عندي نقود.

قلت:

– ماذ قال لك؟

– لقد أخذت كل نقودك هذا الشهر.

هذا الولد يريد أن يقتلنى. ما شأنه بما آخذه. إنني زوجها، ولى أن آخذ ما أشاء منها قلت:

– ولكن نقودى...

قال بعجرفة واضحة، مقاطعا حديثي:

- لقد أخذت مني أكثر من راتبك هذا الشهر. ولما علمت «الست» بهذا غضبت. وقالت «ليس من حقك أن تعطيه أكثر من راتبه الذى حددته له».

***

منذ سنوات طويلة تركت ليبيا مع أبى وأخى الأكبر، ومن يومها لم أر من أهلي سوى صالح ابن «هليل» ابن عمى.

شعرت بالأسى عندما رأيته. فقد رآنى بعد سنوات طويلة. فإذا بى محطم في كل شيء. بدلتى كالحة اللون، متسخة، متآكلة الأطراف. ولعله رأى ما تفعله بدرية بى.

كنت أود ألا ألتقى بأحد من أقاربى حتى لا يرون الحالة التى وصلت إليها.

لكن الولد صالح طيب . يعاملنى بأدب شديد، لعله الوحيد في هذا العالم الذى يعاملنى هكذا. قد يكون لايعرف ما وصلت إليه من سوء.

ما علينا. المهم أن صالح حالته تحسنت إلى حد بعيد. بعد أن اغتنت ليبيا بالبترول..لم يعد يسكن اللوكاندة المتواضعة بشارع جامع سلطان. ولا الحجرة الوضيعة مع زميله الآخر. إنه يسكن

شقة مفروشة وأهله يرسلون إليه مبالغ كبيرة كل شهر.

قالت بدرية:

- الولد عينه من آمال ابنتي.

عندما عاد بعد زيارته الأخيرة لليبيا، جاء إلينا محملا بالهدايا.

ألح على بأن أسافر إلى «بنى غازى» فقد تغير الحال. والنقود صارت كثيرة مع الأسرة. وسوف يعطوننى من المال ما أشاء.

لكننى لم أسمح له بأن يكمل. لقدمت وقضى الأمر. ولابد أن أتعامل مع نفسي على هذا الأساس.

أتلذذ باحتساء الشاى الأسود صباحا، تعودت هذا منذ أن كنت في ليبيا صغيرا. ذلك القهوجى يجيد صنع الشاى، وخاصة عندما يشاركنى قطعة الأفيون التى أشتريها يوميا. رغم هذا لايكف عن إلحاحه اذا ما تأخرت في سداد ثمن الشاى..

بدرية..

ما الذى ذكرنى بها الآن. حتما هى نائمة. وستظل نائمة إلى أن تمل النوم. وأظل أنا هنا أتابع راحة النزلاء، أدلهم على مكان المرحاض، وأساعدهم اذا ماعجزوا عن حمل الأشياء.

لفظتني بدرية الآن. تجعل من ذلك الولد وصيا عليّ يتحكم في كما يشاء، هو الذي يحصل الأجرة من النزلاء، وهو الذي يدفع لي راتبي آخر الشهر. راتبي لم يتبق منه الان شيئا.

ماذا سأفعل طوال الشهر.

ذلك الولد يريد أن يعذبني. كأنه قصاص بيني وبينه وأتاحت له بدرية أن يناله مني. أو لعل بدرية هي التي أوصته بأن يعاملني بهذه الشدة.

تمر الأشياء أمامي بقسوة، الشاي مر..النزلاء أحسوا بالحياة فتحركوا.

النقود بدأت ثانية تلامس أصابعي(نقود لوكاندة بدرية).سيأتي صابر بعد ساعات، ليسألني من دفع، ومن لم يدفع. إن لم أعطه النقود كاملة سيقول لبدرية، وستصيح بدرية–حينذاك– كعادتها:

– لن أدعك تدمر حياتي.

وستقول أن ليس لي سوى راتبي. وإن كان هذا يعجبني بقيت. وإن لم يعجبني ،فعلى أن أبحث عن عمل آخر ، وبيت اخر أنام فيه.

رأسي يدق في عنف، رائحة الشاي الأسود–الآن– قريبة من

رائحة العفن في زجاجات الأدوية الفارغة. وجه النزلاء متلبد . أسود.

الأرقام حولي تلح بأن أجمع النقود وأعطيها لصابر. وأن أقف له محييا عندما يأتى.

ذلك عالم سخيف. بدرية لاتبحث إلا عن صابر، أقول لها:«ماذا تريدين؟» تقول فى ضجر:«لاشىء» ثم تعاود البحث عنه واذا ألححت، ولم تجده، تقول:

– قل لصابر كذا وكذا.

الاعلانات معلقة فوق الحائط هكذا:

الدفع مقدما . – صابر

بعد الساعة الثانية عشر تعتبر ليلة أخرى يسدد ثمنها النزيل.– صابر.

صابر . صابر . صابر. التوقيعات علي كل الأوراق. بصماته فوق الأرض وعلى الجدران. اذا لم تجد بدرية الساعى. تقول لى بعجرفة. ابحث لى عن موافى.

«سأعطيه النقود وأمرى إلى الله».

-٧-

ما الذى جعلنى أبحث عن صابر هذا، هل حقا لأزوجه عزيزة- ابنتى- التى كبرت، وتصرفاتها تتصف الرعونة والتحدى لنا. ؟! أم أن أشياء جديدة جعلتني أتذكره.

إننى لا أجد في صابر ما كنت أجده في فرج، ففرج كان يعطينى المال. واذا لم أطعه، يضربنى أحيانا، كنت أجعله كطفل صغير. لكن ما أن يثوب إلي نفسه حتى يعود لعناده.

يغضب لو رآني أطل من الشرفة. ولكن صابرا لايعبأ بهذا. يتأفف من كل شيء.

سألته يوما عن رأيه في رداء كنت أرتديه. قال:

- ليس هناك جمال وجه أو جمال جسد. إنما الجمال هو الأناقة. هناك امرأة تعرف تلبس وأخرى لاتعرف.

لا أريد أن أطيل فى عقد مقارنة بينهما. لكنني أريد أن أجد الدافع الذى جعلنى أبحث عن صابر. ربما اشتقت لرجل أعيش فى كنفه. غير زوجى المهدم.

إن كان هذا صحيحا . فلماذا صابر بالذات؟ ألأنه طراز بدأ

يروق لى وأنا أنتقل من فقر غربال إلي عالم اللوكاندات والثراء.

كثيرا ما سمعت لصابر الساعات الطوال وهو يشرح لى الموضة والأناقة. والذي يجوز ولايجوز فى أمور البروتكول. والكلمات المزوقة المدهونة، لاأدرى من أين يأتى بكل هذه الأقوال..

أحس أحيانا أن صابرا هذا كان مقدرا له بأن يولد ارستقراطيا، غنيا، وتغير الأمر أخيرا. لكن ظلت عاداته القديمة فيه لم تتغير.

جئت به لأوقعه فى شراك عزيزة بعد أن تطورت حياتها إلى الأسوء، كنت أعلم أنهامازالت تحبه رغم مافعلته بعده مع الاخرين. ولكن ها أنا-الآن- أستأثر به وحدى.

شعرت بالضعف أمامه، لدرجة أنى سمحت له بأن يسب فرجا أمامى، كان يكرهه. يقول لى بالأنفة والكبرياء المعهودين فيه:

- لقد كان شرسا.

ولاأستطيع سوى أن أعترض باسمة:

- كيف ياصابر. لقد كان رجلا. ولكن لم يفهمه أحد.

قال فى ضيق:

- هذا رأيك وحدك، لكن الجميع يعلمون أنه كان بلطجيا.

ذكرني بما حدث يوم أن أفرجوا عن فرج بعد حادثة قتل زوجة أبيه الراقصة.

يومها، أقمت له حفلا، وأعلنتها صراحة أمام الحى كله في الميكرفون، أن هذا من أجل فرج. وكان أبوه قد تزوج حديثا من امرأة شابة تعمل في كازينوهات الكورنيش، أبوه يكسب كثيرا.. يمتلك شركة شحن وتفريغ في الجمرك وبلنصات ، ورغم أنه صار كهلا، إلا أنه يسهر للفجر فى كازينوهات البحر.

عندما أحس بأن فرجا قد كبر. ترك له الزريبة بمواشيها، علي أساس ألا يطالبه بشيء آخر. ولكن بعد عام واحد من زواجه بالراقصة ، أحس عم فرج- شريك أبيه فى تجارته- بأن الرجل ينوى أن يكتب ممتلكاته كلها للراقصة . فقتلها هو وفرج.

بعد أن قتلاها، جاء فرج اليّ يرتعش . كنت أعلم بأنه جبان رغم ما يفعله في الشارع من شجار وصراخ. لم يكن يفعل شيئا إلا إذا وجد من يدفعه اليه ويسانده فيه.

حكي لى عما حدث فى هلع قال:

- انتهيت. المرأة ذبحها عمي أمامي. صدقيني هو الذى

ذبحها. أنا لم أفعل شيئا. كنت أقف بعيدا لكنني خفت أن أهرب- حينذاك- فيشيع عمي بأني جبان. (هكذا هو دائما.. يعرض نفسه للخطر حتى لايحس الناس بمدى جبنه وخوفه).

انتظر البوليس في شقتي، كلما دق الباب يرتعد.. نام بعد ذلك، شددت الغطاء فوق جسده، قال - أبى هو السبب. يقترب من الموت ولايهدأ، للآن يسهر فى كباريهات البحر، يبعزق أمواله،تبتزه الراقصات.

أخرجوه من شقتي، لم يقل شيئا. كنت أشعر بأنه يرتعش. وأنه لولا وجود الناس حوله لبكى.

شد جسده وابتسم. شعرت بأنهم قد أخذوه منى، لم أتركه، كنت أعد له طعاما كل صباح وأذهب اليه..

وأفرجت النيابة عنه بكفالة. سرت يومها في الشارع واضعة يدى فى يده. وزغردت عندما لمست ساقه باب البيت. لم ألق بالا بنبيل ولابعزيزة ولا بآمال. ومحروس كان بعيدا عن المنزل. كنت قد طردته. اتفقت مع كهربائى في الحى. ليصنع الأنوار على الشرفة، ووضعت مكبر صوت فوق الشرفة. وزعت الحلوى والشربات على الناس.

غنيت بنفسى في الميكرفون، فليقل الناس عنى ما شاءوا.

أشعر بأننى سعيدة، وأريد أن أفعل مايحلو لى. قال لى باسما:

– لم يفرجوا عنى نهائيا، لقد خرجت بكفالة.

– ماداموا تركوك فأنت برىء.

لم يعش حتى يوم نظر القضية، أراحه الله من السجن، وعمه وجدها فرصة ليحمله– هو– بكل ما فى القضية.

***

جاء صالح ومعه والده– هليل– وقريب له. ذهبوا إلى بيتى فى غـربال. فقـال لهم السكان:«كلهم في اللوكاندة» التـاكسى الذى ذهب بهم إلى غـربال، هو الذي أوصلهـم للوكـاندة. كنت أرتدي بذلة وبالطو خفيف يخفي البنطلون. وكعب عالي، والمساحيق تملأ وجهي، أجل كما قال صابر «الجمال هو الأناقة». فوجئت بصالح يدخل ومعـه هذان الرجلان.ارتبكت، لو أعرف أنهم سيجيئون. لكنت ارتديت ملابس أكثر حشمة من هذه.

قال صالح فرحا:

– أبي وعمى

جلسوامعي. وقام صابر ليتفقد العمل في استقبال اللوكاندة. ومحروس اختفى فجأة. مع أنه كان موجودا قبل أن يحضروا

بدقائق

قال صالح فرحا:

- عمى وأبى، لقد فرحا لانهما سيلتقيان بعمى محروس.

بحثنا عنه في كل مكان باللوكاندة. لم نجده.

يأتون من ليبيا خصيصا لمقابلة ابن عمهما. فاذ بمحروس يختفي فجأة. قلت لهم:

- سيأتى بعد قليل، لاتهتموا.

لكنه لم يأت إلا بعد أن اتصل تليفونيا وتأكد بأنهم ملوا وذهبوا.

اعتذرت لهم كثيرا لتغيبه. كنت أعرف أنه لايريد أن يقابلهم، لا أدرى ما الذى يخفيه عنهم. قال والد صالح بحزن شديد كأنه يبكى:

- أملي أن أراه قبل أن أموت.

ارسلت موافي إلي محل شواء مشهور وقريب من اللوكاندة لشراء الطعام اللازم لهم. ومددت السفرة فى بهو الفندق، وتناولنا الطعام جميعا وصابر معنا. كان يجلس بجوارى كأنه واحد من العائلة. قال هامسا:

- أشعر أن الموضوع له صلة بآمال.

لم أدهش من قوله، فكلنا نعلم أن صالح يرغب فيها، كما أنه يتابعها منذ أن جلس. لكن والد صالح وقف ومعه قريبه الآخر فتبعهما صالح مضطرا، استأذنوا في الخروج دون أن يتحدثوا في موضوع آمال. حتى أحسست بخيبة الأمل فقد يكون لوالد صالح رأى آخر في هذا الموضوع.

الصيف مرة أخرى في لوكاندة بدرية، صديق-أنا- للصيف. يرتاح فيه صدرى قليلا، يغطيه الدفء.

أرتاح لرؤية الصدور والأيادى العارية. والألوان الصارخة في الملابس. الشتاء كان يحجب هذا كله.

تمتلىء اللوكاندة بالنساء والبنات. أتابعهن في لذة من خلف المكتب الكبير.

قال صابر لى بالأمس:

«إن مندوبات من شركة تأمين بالقاهرة ينزلن باللوكاندة،، وأنه سوف يساعدنى فى إقامة علاقة مع احداهن» لماذا لا أكون مجربا مثله؟

كنت أخاف النساء. البنات منهن بالذات. أخرج من المنزل قبل المحاضرة بأقل من نصف ساعة (مسافة الوصول إلى الكلية) وعند الانتهاء أذهب الى البيت مباشرة. أو أتسكع فى الطرقات. ليس هناك سوى علاقات قذرة. رخيصة ومستورة مع نساء فى الظلام بعيدا عن الناس.

لعبة مريرة، وجذوة ملتهبة، أريد أن أطفئها فى أي شيء.

أنام على بطنى فوق الفراش. أقوم عنه كالمحموم. أبحث عن لذة تريحنى، عن الغسالة فى الليالى الباردة، أفرش الغسيل المتسخ.ترتعش المرأة عندما يلفح الهواء البارد جسدها البارد. لا أري وجهها العجوز، لا أسمع سوى اصطكاك أسنانها من شدة البرد.

***

هبطت فتاة الدرج مسرعة. مرت أمام المكتب. حيتنى ، ابتسمت لى(لا أذكر من وجهها سوى الابتسامة، ولكننى لا أستطيع أن أنسي جيدها وذراعيها العاريين. لعلها احدى مندوبات شركة التأمين التى حدثنى صابر عنهن.

ناديت «موافي». صابر لم يأت للآن.

لو كانت هذه هى الفتاة التى وعدنى صابر بها، ستكون صفقة رابحة لاشك.

– موافى.. من هذه التى مرت؟

– الحجرة ٢٤.

– من شركة التأمين؟

- أجل واسمها (حاول أن يتذكر اسمها، لم يستطع).

- انها لم تترك المفتاح.

- اجل، فمازال في الحجرة اثنتان غيرها .

ذهب موافي وبقيت بمفردى، نظرت الى المرآة القريبة منى. وجهى أقل اصفرارا عما كان عليه من قبل.

السحابتان السودوان تحت عينى، أقل بريقا اليوم.

هناك موسيقى عالمى، لا أتذكر اسمه الآن، كان مصدورا، وكانت هناك سحابتان سوداوان تحت عينيه- مثلى.. ولكنهما كنانتا تضيفان لوجهه جمالا خاص.

جاء أبى، شعرت بالضيق، من الأشياء التي لا أطيقها:(سعالى فى المساء، وهواء الشتاء وأبى)

لم يحينى، قال:

- لم يأت صابر للآن؟

قلت في فتور:

- لا .

نظرا إلى أظافره السوداء ولم يجب.. كان ينظر إلى من وقت لآخر، تظاهرت بأننى لا أرى نظراته..

نادى بصوت مرتفع:

- موافى. موافى.

مازال فى الحجرة ٢٤ فتاتان . لا أدرى أيهما التى وعدنى صابر بها .

اذا ماجاء، لن استطيع أن أتحدث معه عنها أمام أبى.

اقترب موافى. قال أبى.

- كوب شاى.

- ليس على حساب اللوكاندة.

نظرت إليه فى دهشة، ثار أبى:

- من قال لك هذا؟

أعرف أبي جيدا . لن يكف عن صراخه لوقت طويل. قلت لموافي دون أن أقول لأبى حتي «اسكت»

- لماذا قلت هذا؟

- «الست» أمرت بهذا، قالت لمحمود القهوجى إنها لن تدفع ثمن شاى الاستاذ محروس.

صاح أبى صارخا:

- أنت رجل حشري تحشر نفسك فيما لايعنيك. أنا سأشرب

غصب عنك وعن اللوكاندة وعن الست أيضا.

قلت لموافي غاضبا:

– اذهبوانت وسأحاسب محمود القهوجي.

ذلك معناه أن يظل أبي ثائرا طوال الوقت، لاعنا كل شيء وأن أظل متابعا لحديثه غصبا عني.

– أمك زودتها، تعملني كالخادم، كالكلب، أنا ملتها ، ستتها. جزائي– بعد هذا كله– أن أعامل هكذا.

بعد وقت طويل قضاه أبي في السب واللعن. قال في ضعف:

– لديك جنيه سلف.

نظرت إليه فأسرع قائلا:

– أول الشهر، عندما أقبض راتبي من صابر، سأعطيه لك.

أخرجت جنيها مسرعا من سترتي. وأعطيته له.

– وهذا الولد المتعجرف (يقصد صابر) نسي أصله وفصله. الآن يبيع ويشتري في أسياده.

للآن لم تخرج الفتاتان، وصابر لم يأت. آه لو يذهب أبي بعيدا الآن.

جاء صابر ، وقف أبي عندما رآه محييا:

- أهلا استاذ صابر.

ترك له مقعده وتراجع هو(لم أنشغل بما فعله أبى مع صابر. من حيث أنه كان يسبه قبل أن يأتي. وعندما رآه قابله بالترحاب. فقد كنت فرحا بقدوم صابر قبل خروج الفتاتين).

حدث ابى صابر عن بعض النزلاء. وصابر يصرخ فيه من وقت آخر، وأبى يحدثه في ضعف. تمنيت أن يذهب أبى. ولو ضحيت بسنوات من عمرى. لكنه لم يذهب. كان يرشف الشاى بطريقته المثيرة للأعصاب. أردت أن أحدث صابر عن الفتاتين اللتين مازالتا فى الحجرة ٢٤، فلم أستطع .

وضع صابر يده فوق كتفه، وقال له بصوت منخفض:

- لقد بذلت مع الست مجهودا جبارا . لكى أستطيع أن أعطيك خمسة جنيهات أخرى.

أخرج له الخمسة جنيهات وأعطاها له. قال أبى فرحا:

- لن أنسى لك هذا الجميل أبدا .. أنت الخير والبركة.

سجائر صابر وأبي تكاد تخنقنى. من وقت لآخر يخرج صابر علبة سجائره، ويعطى واحدة لأبى ويشعل هو الأخرى.

الفتاتان لم تخرجا للآن. قلت لصابر حتى أذكره بوعده:

- واحدة من نزلاء الحجرة ٢٤ خرجت منذ قليل، ولم تترك المفتاح.

ابتسم ونظر ناحية أبى في عدم اكتراث. شعرت أنه يستكثر على أن أهتم بوجود أبي، فأموه الموضوع أمامه. أنا لا أريد أن أتحدث طويلا فى شعوره هذا، فالمهم عندى الآن هو أن أعرف مصير الفتاتين.

قال صابر:

- قد تكون هناك أخريات فى الحجرة.

- كنت أظنها تسكن الحجرة وحدها.

قال بعد أن أخرج سيجارة أخرى لأبى:

- محروس، اذهب الان إلى السباك، كنت قد طلبته لإصلاح حوض الحجرة ١٣ ولم يأت للآن. ابتسم أبى فى ضعف، تراجع قائلا:

- حاضر سآتى به حالا.

شعرت براحة بعد ذهاب أبى، الان أستطيع التحدث بحرية قال صاب:

- من التى خرجت منهن؟

– لا اعرف اسمها. لكن يديها كانتا عاريتين، وظهرها عارٍ أيضا.

– كلهن كذلك.

– لا اعرف عنها شيئا. لا تسألنى عن لون بشرتها، ولا لون ثوبها، أنا لا أذكر سوى لمعان يديها وطعم اشتهائى لها.

خرجت فتاتان بعد ذلك، احداهما قصيرة بيضاء، والأخرى أقرب من الدمامة إلى الجمال. اقتربتا من المكتب. قالت القصيرة وهى تلوح بالمفتاح بدلال:

– المفتاح يا استاذ صابر . لماذا تأخرت اليوم؟

– لأن لى عملا آخر غير اللوكاندة.

كانت الأخرى تنظر فى صمت قال صابر ناظرا إلى:

– استاذ نبيل، كلية الصيدلة.

ثم وهو يشير اليهما:

– مدام عفاف(والى القصيرة) آنسة رجاء.

قالت عفاف:

– لديك بوليصة تأمين؟

داعبت نظارتى عدة مرات بأصابعى. وحمدت الله لأنني

استطعت أن أقاوم رغبتى فى قضم أظافر يدى. قال صابر:

- إنه مازال طالبا.

لم أنطق بشيء، اكتفيت بالنظر إليهما. استطعت أن أتوصل الى أن بوجه رجاء «نمش» كثير وأن فى أعلي ذراع عفاف الأيمن وحمة.

لامنى صابر- بعد أن خرجتا- لأي لم أقل كلمة واحدة.. لكننى كنت متلهفا لمعرفة الفتاة التى وعدنى بها. تمنيت أن تكون التى خرجت قبلهما أو- على الأقل- تكون عفاف، لكنه قال إنها رجاء. قلت:

- ولماذا لاتكون إحدى الاخريين؟

- عفاف لى والأخرى مخطوبة. ولا أظنها ترضى بغير خطيبها بديلا. إطمئن فعفاف حدثتها عنك ووافقت.

***

ارتديت حلة جديدة . كانت بدرية قد اشترتها منذ شهور قليلة (هى تكثر من هداياها لي منذ أن اشترت لوكاندتها تلك).

تأكدت من أن ربطة عنقى فى مكانها المضبوط، وأن حذائي يلمع.، كانت رجاء تشغل كل تفكيرى. يقف موافى أمام الباب.

حييته ودخلت. لكنه تابعني. قال دون أن أسأله:

- صابر لم يأت.

جلست فوق المكتب أخذت أقلب فى بعض الأوراق متظاهرا بالعمل . فاقترب منى ، حتى كادت شفتاه تلمسان أذنى.

- أريد أن أشكو لك والدك.

تمنيت ألا يقول شيئا . فالكلمات عن أبى تنغص بطنى وتصيبنى بالغثيان.

- ماذا حدث؟

قال فى استجداء:

- تشاجر مع محمود القهوجى، ولولا أني شددت محمود خارج اللوكاندة لكان قتله.

مثل أبى أمامى وهو يصرخ، ويشد عروق رقبته، ويلوح بيده.

وسمعت موافى:

- زبائن اللوكاندة خرجوا من حجرهم وأخذوا ينظرون إليهما فى سخرية. لو علمت«الست» بهذا ستغضب، فذلك يعرض سمعة اللوكاندة للخطر..

قلت فى أسى:

- ولماذا تشاجرا؟

قال وهو يزداد اقترابا بشفتيه من أذنى حتى لامسهما:

- لقد اقترض منه مبلغا من المال. ولايريد أباك أن يسدده له ، هذا غير حساب الشاى والقهوة. ولقد أقسمت «الست» الا تدفع حسابه.

ارتديت حلتى واعتنيت بكل شىء، طامعا فى لحظة حلوة مع رجاء. لكن أبى عكر صفو مزاجى، قلت فى ضيق:

- كفى، سأسوى هذا مع محمود القهوجى.

سار موافى خطوتين، ثم عاد ثانية وقال فى صوت خافت:

- أنا أيضا يا أستاذ نبيل.

- ماذا؟

- لقد اقترض منى أيضا.

أضيع أنا الآن، أرتدى حلة، وأرش فوق رأسى زجاجة كلونيابثمن مرتفع. وأبى يقترض من خادم اللوكاندة.

شعرت بالضعف أمام موافى.

كنت أفكر فى أن أطلب منه أن يشترى لى زجاجة(قازوزة) لكننى تراجعت. تمنيت أن لم أكن جئت، وأحسست بأننى أخترت

وقتا غير مناسب.

عندما جاء صابر وشكوت له شعورى ، ضحك وقال فى بساطة:

- أهذا يقلقك .أبوك له مني «من جيبى الخاص» خمسة جنيهات كل شهر،. هذا غير السجائر.

تعللت بالأسباب، ولم أقابل رجاء هذه المرة.

-٩-

جاء صالح ومعه والده وبعض أقاربه حاملين الهدايا.. جاءوا هذه المرة إلى البيت في غريال. كان محروس يرتدى بيجامته الرثة المتآكلة. وشعره مهوش. لم يستطع الهروب هذه المرة. ضمه والد صالح إليه. قبله باكيا:

- كل هذا العمر يامحروس؟!

جلس محروس ناكسا رأسه حزينا. لقد حاول الهرب منهم حتى لايروا الحال التى وصل إليها. السنوات مرت، وهو الذى كان أكثر طموحا منهم. يحلم بأن يعمل في الاسكندرية، عاملا فى محطة بنزين، أو سائق عربة نقل. انتهى به المطاف الي لاشىء. بينما الحال تغير عندهم إلى الأحسن. أموال البترول غيرتهم فصاروا أغنياء.

لقد لامته بدرية لأنه لم يقابل ابن عمه- والد صالح- فى المرة السابقة. لكنه ثار عليها وبكى.. كيف يرونه وقد تهدم، لايعيش إلا بالأفيون وتتحكم فيه بدرية وصابر.

قدم الرجل الكبير الهدايا لهم. لكل واحد حظ منها- ريكوردر لنبيل بدل الجرامفون القديم الذى لايذيع إلا الاسطوانات، وساعة

ذهبية لمحروس، وملابس لبدرية وعزيزة وآمال.

قال الرجل الكبير:

- لقد جئت لأخطب آمال لابنى صالح.

نظرت آمال إلي صالح خجلة وابتسمت بدرية:

- اجل. لكن البنت صغيرة.

ابتسم أحد رجالهم قائلا:

- انها طول الباب، وبناتنا يتزوجن وهن أصغر منها بكثير.

ارتعشت عزيزة وهى جالسة. آمال أصغر منها بكثير. بينهما أطفال كثيرون ماتوا في طفولتهم، هذا غير توقف بدرية عن الانجاب لسنوات.

قالوا إنها أجمل منها بكثير. وها هى النبوءة قد تحققت وسوف تتزوج الصغيرة، وهى ستظل عانسا.

نبيل الوحيد الذى لم يحضر الاجتماع، عندما دخل الشقة حيا الجميع من بعيد، ودخل حجرته وأغلقها خلفه، حتى عندما أعطته آمال الريكوردر فرحة، أخذه منها دون أن يعلق.

قام محروس. سار في بطء شديد إلي حجرته. ارتدى بدلته الوحيدة. وعاد ليجلس مكانه. بمرور الوقت نسي حزنه، قدم

السجائر إلى أقاربه وأخذ يحدثهم فى ود شديد.

تحركت بدرية في خفة، كانت تلف جسدها الممشوق الطويل بروب حريرى، وتبدو كأنها شقيقة آمال الكبرى- لا أمها.

اتفقوا على موعد الخطوبة على أن تسافر أمال الي بنى غازى، لتعيش معهم هناك، بعد أن تعين صالح مدرسا فى المدارس الابتدائية ببلده.

غادروا المنزل بعد منتصف الليل. ألحت بدرية عليهم بأن يناموا ليلتهم فى شقتها. لكنهم أصروا على الذهاب بعد أن حجزوا في لوكاندة متوسطة في شارع النصر.

أول شيء فعلته بدرية بعد أن ودعتهم هو البحث عن عزيزة . فقد لاحظتها شاردة حزينة طوال الجلسة.

وجدتها فى غرفتها تبكي، ضمتها لصدرها قائلة:

- عقبالك.

***

أخفت عزيزة دموعها وتظاهرت بالابتسام.

عادت أيامى ثانية مع صابر. فبعد سنوات طويلة أجلس معه في أتينيوس. لكننى صرت الان أكثر تجربة ولعلى أكثر جمالا،

وهو كما هو :جلسته المتقاعسة. يجلس على حافة المقعد. ويتكلم من طرف أنفــه.. وينظر إلي نزلاء «اتينيــوس» الدخــلاء في احتقار.

قال في عظمة وكبرياء:

– جرسون.

أتاه الجرسون مهرولا قال:

– الحساب.

ثم رمي له قطعة ورقية وسار، سرت خلفه. قال ونحن نسير:

– كم قابلت هنا بعدى؟

– كثيرون. أول لقاء دائما هنا .

– أعرفهم؟

– تعرف بعضهم.

– «على» منهم؟.

أردت أن أحدثه عن خطوبة آمال. وعن إحساسى بالإحباط لذلك. وعن أملى فى أن يتخذ موقفا ويخطبنى هو الآخر، لكنه يريدنى أن أحكى له عن «على».

كان بينهما كره متبادل. لا أدرى من أي وقت بدأ . أبعد

علاقتى بعلى. أم من قبل. المهم أنهما الآن لايطيق أحدهما الاخر. اذا ما جاء «على» لزيارة نبيل ورآه صابر في اللوكاندة، أو فى البيت أجده يعامله بحذر. ويقول له:«استاذ على» وعندما يذهب ، ينظر إلى شرزا كأنني سبب حضوره.

قلت له بعد وقت ابتعد فيه كل منا عن الآخر في الطريق:

– لم أقتنع بعلى أبدا . طريقته لاتروق لى.

ارتاح لقولي. شد علي يدى ثانية.

كان «على» يحبنى ، أكثر من أحبنى منهم، رآه نبيل يوما وأناأقف معه في الطريق أحدثه . قال لي بلغة آمرة:

– اذهبى إلى البيت.

فى اليوم التالى جاء على مبكرا. لم يكن نبيل موجودا. انفرد بى. قال في ألم (رأيت آلامه فى عينيه):

– لم أنم ليلة أمس. شعرت بالعذاب من أجلك. هل آذاك نبيل؟

ولم يسألنى نبيل ثانية عن سبب وقوفى مع «على» فى الطريق.

شدنى صابر من يدى، كان يتحدث دون أن أسمعه. سألنى:

- لماذا أقمت علاقة معه مادمت لاتحبينه؟!

قال لي علي يوما:

- لا أستطيع أن أعيش بدونك، الأيام التى لا أراك فيها تعذبنى . أبكى فيها. لا أستطيع أن استذكر.

سرت معه، لأنى شعرت بأنى لو تركته، سأجنى عليه.

- كيف؟

- لو تركته كان سيرسب في امتحاناته.

شعرت بأنى أروى ظمأة صابر صار «على »الآن أكثر أهمية، ضابط فى الجيش، وصابر لاشىء.. أحلام دون شىء.. بالون مملوء هواء. لكننى أحب الأحلام.

إرتاح عندما حدثته عن «على» بهذه الطريقة. شعر بأنه خير منه، لأنى فضلته عليه.

كان «على» يود لو أرضى به زوجا، قدمنى لأمه، للعالم أجمع على أنى زوجة المستقبل. لكننى تنكرت له من أجل صابر.

آه، لقد تزوجت صديقاتى كلهن تقريبا، حتى أختى الصغيرة ستتزوج،وأنا كما أنا. لا أدرى ماذا أفعل. لو جاءنى «على» الان طالبا يدى. هل سأرفضه كما رفضته من قبل؟!

***

همس صابر فى أذنى قائلا– ونحن عائدين بالتاكسى:

– أريدك فى الحجرة ١١، الساعة ١٢ مساء.

الحجرة ١١ هى الحجرة التى، نخلع فيها ملابسنا ونرتاح فيها أحيانا،. ولاتشغل للنزلاء إلا عند الضرورة.

فرحت بطلب صابر هذا، شعرت بأننى استطعت أن أطويه داخلى. وقد يحدثنى عن الخطوبة.

بقيت فى انتظاره للحظات فى الحجرة ١١ دق الباب. فتحت له حذرة دخل متثاقلا جلس على حافة السرير، أتيت اليه من السرير المقابل. لأجلس بجواره. أمسك يدى. وقال:

– دعك من مخاوفك الان أريد أن أقضى معك ليلة لاتنسى.

– كم أود هذا. لكن اللوكاندة لاتصلح لهذا.

دق الباب اتسعت عيناه. زم فمه. تباعدت يده عن يدى، ترك يدى فى ضيق.

فتح الباب. في حذر، أطل «عم موافى» برأسه مبتسما قال:

–«الست» على التليفون.

قلت بعد أن ذهب موافي:

– لقد رآنا معا.

لم يقل شيئا. خرج. انتظرته طويلا. ولملمت أشيائي في أسى وخرجت. نظر موافي إليّ نظرة مريبة. وصابر لازال يتحدث فى التليفون مع أمي.. لم يعد مقطبا جبهته كما كان معي. كان يضحك ويقهقه. رؤيتي له وهو يتحدث في التليفون متعة(يضع رأسه بين السماعة وبين يده الأخرى. يهمس همسا).

لمحنى وأنا أحاول الخروج من باب اللوكاندة الكبير. أشار إليّ بأن انتظر. جلست على مقعد الاستقبال منتظرة آخر كلمة قالها، قبل أن يضع السماعة:«ممنون يامدام».

قال : كفى ياموافى. اطفىء الأنوار واذهب لتنام.

ذهب موافي لينام -كالعادة- فى أى حجرة خالية.

وصابر حديث أمى ألهب جسده، وحيدة أنا الآن. لا أدرى ماذا سيكون موقف أمى لورأتنى معه فى هذا الموضع. قال:

- لابد أن أقضى ليلتى معك. موافى ذهب لينام وسأغلق الباب الكبير الآن.

ذهب ليغلق الباب وأنا أنتظره فوق السلاملك.

صعدنا معا إلى الحجرة ١١ مرة أخرى.

دفع الباب وأنا وراءه مضطربة. أخاف نزلاء اللوكاندة، أخاف «موافيا» أخاف «صابرا».

أضاء المصباح . فإذا بموافى نائما فى الحجرة كان يدعى النوم، فهو لم يدخل الحجرة سوى من دقائق معدودة.

زم صابر فمه غيظا، خرجنا إلي السلاملك.

بوليس الآداب يأتى فى أى وقت من الليل. يسأل عن النزلاء، يطالب ببطاقاتهم الشخصية. وأحيانا يطلب بطاقات النساء المرافقات لهم، كى يتأكد من مدى العلاقة بين كل امرأة ورجل يسكنان حجرة واحدة.

أردت أن أهبط. لكننى خفت من صابر. قال فى صوت خافت:

– اتبعينى

صعدنا حتى الدور الأخير–السطوح– ليس بالسطوح سوى حجرة الغسيل. تعثرت قدمى بملاءات ثقيلة ملقاة وملابس متسخة تنتظر الغسيل.

قلت بصوت خافت والدموع تداعب مقلتى:

– لماذا هنا بالذات. لنذهب لأى حجرة خالية.

قال وهو ينظر حوله هلعا:

– موافي سيفتح كل الحجرات الخالية بحثا عنا .

لم أره بعد ذلك. لم أشعر إلا ويده تلمسنى.

الباب مفتوح الهواء يدخل باردا رغم الصيف.

ليالي بدرية تقضيها مسهدة، عزيزة ابنتها عادت ثانية إلى صابر. هكذا قال لها موافى. جاءت به ليتزوجها. ولتسدل الستار على أفعالها التى تحدث عنها الحى كله، لكن لم يحدث شيء للآن سألته ، لتجس نبضه، عن ر غبته في الزواج، قال:

- لا أستطيع الزواج الآن ، يدي خاوية.

عاودتها الحيرة ثانية، لو كانت عزيزة صغيرة وبلا ماض ما كانت العين بكت. كان سيأتيها من يتزوجها بسهولة. لكن شبان غربال يعرفون ماحدث منذ أن رآهما فرج على ترعة المحمودية.

كانت تظن أنها ستعيش مرتاحة بعد شراء لوكاندتها، لكن هاهى تعود ثانية إلى القلق.

نبيل كما هو فى كلية الصيدلة، يرسب ويرسب وعزيزة تكبر دون زواج، كما أن خطوبة آمال قد أعادت اليها الأحزان.

للثروة أمراض بدأت تهاجمها، هواجس الليل- أيضا- هاجمتها: الضرائب، دفتر البوليس ، مخالفات بوليس الآداب، واللوكاندة فى حى عريق فى الدعارة والخمور، شارع«البير» سمى هكذا لكثرة البارات فيه.

نقودها لاتعرف عنها- الان شيئا- صابر يقول إنه يقيد كل شيء. وأن حسابها في البنك في ازدياد مستمر ويهمس محروس في أذنها دائما:

- صابر يسرقك.

محروس وحده لعنة. مشكلة بلا حل. الأفيون والسكر والشاى الأسود. يقترض حتى من موافى خادم اللوكاندة. يشرب شايه ويدعو كل من هب ودب على شربه على حساب اللوكاندة.

بدأت تمل اللعبة. تريد أن تهرب بعيدا. تعود ثانية إلى غربال بلا لوكاندات، تختبىء في حواريها، تشارك في جلسات النساء على الأرض وفوق رخام السلاملك العارى.

أصيبت بالروماتزم في مفاصلها. وفى أعلى الظهر. النوم ارتفع سعره. الأرق شريكها فى لوكاندتها.

شكا لها محمود القهوجى من أن محروس زوجها اقترض منه نقودا وكذلك لايريد أن يدفع ثمن الطلبات المتأخرة عليه. وموافى- هو الآخر- طالبها بنقوده التى اقترضها محروس منه، دفعت لهما نقودهما.

عندماجاء محروس للوكاندة. قالت له:

- لاتدخل اللوكاندة ثانية.

***

تطورت علاقة عزيزة بصابر. بدأ يتودد لها. عادت ثانية إلى أحلامها معه. لن تحلم- كما كانت صغيرة- بسندريلا وفارس الأحلام الذي يطوى حارات غربال بحصانه. إنها تحلم الآن بالزواج. لابد أن يتزوجها قبل أن تتزوج آمال الصغيرة.

أهدت إليه هدية قيمة في عيد ميلاده(تعرف هي موعده منذ أن كان صغيرا): أزرار قميص ذهبية.

قالت له:

- إلى متى سأظل هكذا. افعل شيئا. اخطبني.

- أجل في القريب.

فرحت يومها. أول مرة يعدها بالزواج منذ أن جاء إلى اللوكاندة، قالت لنبيل(وكان أول من قابلها):

- صابر خطبني.

قال في غضب.

-كيف؟

- سيعد نفسه ويتقدم لخطبتي في القريب.

- ولماذا لم يقل هذا لنا؟!

- ربما لايريد أن يفتح الموضوع قبل أن يكون مستعدا له.

تركها نبيل ثائرا ، لكنها لم تهتم، لم تكف عن الحديث عنه.

دخلت آمال الحجرة . ضمتها لصدرها . سألت:

– هل تحدث صابر فى هذا الموضوع مع أمى أو أبى؟.

– كلا. قال لى أنا؟

فترت سعادتها . قالت:

– إننى لا أثق فى صابر.

دفعتها خارج الحجرة صارخة:

– تريدين أن تتزوجى وحدك. إننى أكبر منك وأحق منك بالزواج.

كتبت خطابا طويلا الى صابر. لتدسه فى يده فى الغد. قالت له: أنا لم أخلق إلا لك. صابر هو الوحيد الذى يستطيع أن ينقذها من عذابها هذا، اذا تزوجها.

***

فى المساء سارت علي أربع وهو وراءها خشية أن يراهما الجيران فى البيوت المجاورة.. فرشت الغسيل -كالعادة- في حجرة الغسيل. همست في أذنه ضاحكة:

– قل للكهربائى أن يضع لنا مصباحا هنا.

رجعا إلى الحائط. سندا ظهريهما، تحدثا، قالت له:

– أنت الآن زوجي.

– كيف؟

– ألم يكن أجدادنا يتزوجون بلا عقد وبلا مأذون.

– أجل كان يتم هذا بالشهود فقط.

– كثيرون يعلمون بعلاقتنا. ألا يكفي هؤلاء ليكونوا شهودا.

عندما عدت إلى البيت في غربال مساء وجدت ثورة من أمي. وأبي يجلس على مقعده واضعا رأسه فوق يده المسنودة على المائدة، وأمي تصرخ فيه وتشده:

– لا أستطيع احتمالك بعد الآن، إنك تؤذيني، تضرني، ماذا يقول الناس عني، وانت تقترض من موافي ومحمود القهوجي. ثم تتشاجر معه في اللوكاندة أمام النزلاء.

كان صامتا في وجوم. شعرت بالعطف عليه، تمنيت أن يصرخ ويدافع عن نفسه. قلت:

– كفي ياأمي.

– لن أكف ، ولا أريده في بيتي، لو كان لديه قليل من الشعور ما احتمل كلمة مما أقوله له.

اكتفيت بالبكاء. أحب أبى.، وأتمنى أن يكون بينه وبينها وئام.

قامت آمال. لمست رأسه، ضمتها لصدرها فى حنان:

- لاتحزن.

أشاحت أمى بيدها . وسارت إلى حجرة أخرى.

سرت أنا الأخرى نحوه. وربت على رأسه.

عادت أمى صاحت:

- ماذا تفعلان به. كأننى أنا المخطئة، لا هو.

صاحت آمال:

- أجل أنت المخطئة.

- بنت، أجننت؟

- لا. لقد مللت تصرفاتك. أبي فى اللوكاندة وتأتين برجل غريب يتحكم فى كل شىء، وزوجك كأنه يعمل عنده..

- مالى وأنا حرة فيه.

بكي أبى وقتذاك . ليس لدى جرأة امال وحدتها . كل ما استطيعه هو أن أقبل دموعه.

سارت أمى ثانية فى الحجرات، هذه عادتها عندما تغضب تسير وتتحرك كثيرا في عصبية دون حاجة لذلك.

عادت إليه:

- إن أردت أن تبقى معنا وتعيش فى بيتى. فلا تذهب إلى اللوكاندة ثانية، لو ذهبت هناك سأجعل البورمجية يضربونك ويرمونك خارجها.

انتفض من قولها، اعتدل. تحركت رأسه عن يده. نظر إليها:

- أخيرا يابدرية يضربني البورمجية؟

- أجل، واللوكاندة محرمة عليك من اليوم.

وقف على مهل وعيناه حمراوان والخطوط الحمراء فى أنفه تزداد اتساعا. قال فى ضعف:

- مادام الأمر وصل إلى هذا الحد. فلا داعى لأن أبقى فى البيت أيضا.

أجهشت أنا باكية شددته من يده.

تابعتنا بدرية فى صمت خرج من الباب. أخذت أشده وآمال تصرخ فى أمها. قالت:

- أتركاه يخرج حتى لايحس الجيران بما يحدث، كفانا فضائح.

لم أتركه . جلس على الدرج أخرج منديله من سترته، مسح

دموعه، جلست. بجواره. وآمال جلست من الناحية الاخرى.
ربتت على ظهره، أمى تقف على باب الشقة تكاد تجن. منظرنا مثير للاهتمام. الرجل يجلس على السلم وابنتاه على يمينه وشماله.

قالت بدرية:

– محروس، أنا أعرفك جيدا. تحب الفضائح، اذا أردت أن تدخل أدخل، أو انزل اذا شئت المهم الاتجلس هكذا.

صرخت آمال بها من مكانها بصوت لاشك قد سمعه كل الجيران.

– كفى عن هذا واتركينا معه.

كادت ترد على ثورتها لولا أنها رأت دموعنا تجرى، فتراجعت. قالت:

– سأدخل وأترككما.

كان أبى كطفل صغير يتدلل. أشده فيتمنع..أخيرا اقتنع ودخل على أن ينصرف فى الصباح.

***

مل نبيل رجاء. سرعان ما يمل الأشياء.لايدرى ما الذى

يريده. يذهب مستعدا للقائها. فيعود ثانية ضجرا دون شيء..

يتعلل بأسباب واهية. أحيانا يشعر بتعاسة لايدرى لها سببا. يفكر. يشعر بأنه يريد جديدا لايدرى نوعه، فراغ يقتله..

يصحو لينام ثانية. يظل يقرأ لوقت طويل، ويسمع أغانى على الريكوردر الذى أهداه له صالح.

لكن الريكوردر لايعطيه جديدا.

لازال يرسب مرة وأخرى. ينظر إلى النساء فى نهم ، رغم أن رجاء ملك يديه. رجاء اسم آخر يضمه إلى قائمته، المرأة «العورة» في غربال، والغسالة فى لوكاندة بدرية..

قدمه صابر لرجاء قائلا:

- سيكون صيدليا كبيرا..

وهمس فى أذنها قائلا:

- هذا غير اللوكاندة.

لهذا، أعدت نفسها لأن تكون زوجة له. تحدثه دائما عن زوجها السابق الذى كان يمتدح جسدها دائما. لولا أن صابرا قد قدمه إليها بهذه الكلمات عن المستقبل واللوكاندة ما كانت رغبت فيه أبدا، بكى مرات لأنه يشعر بالفزع، ولأنه لايملك

المقدرة لفعل شيء، حتى أيقن حقيقة بأنه لايصلح لشيء، وأن بقاءه في الكلية ماهو إلا ستار لبقائه دون شيء يفعله.

وكثيرا ما كان يحيل هذا الضعف إلى مرضه، وهو يعلم أن ذلك ليس سببا حقيقيا. فالسبب الحقيقي شيء لايدريه كالتعاسة التي تلازمه ولايعرف لها سببا.

-١١-

يأتى صالح كل يوم، تنتظره سيارته، من كان يظن أن ذلك الولد الذى كان يرتدى بدلة كالحة اللون تشبه ما يلبسه بائع الجاز فى حارتنا، يمتلك سيارة الآن.

يبتسم لى . أبغض ابتسامته حضوره إلينا هو الذى أظهر عجزى ، وجعلنى أحس بأن آمال أكثر جمالا منى وأحق منى بأن تعيش.

يسألنى عن آمال، قبل أن أجيبه تأتى إليه فرحة تمسك يده ، تداعبه، يدخلان الحجرة، ثم يخرجان بعد ذلك لشراء بعد اللوازم، استعدادا للخطوبة، وأنا فى حجرتى اتقلب، أبحث عن ورقة لاكتب رسالة إلى صابر. ثم أمزقها في عصبية.

صابر هو ألمى الآن، شعور الحب نحوه تحول إلى كراهية، وخوف معا . لم يقس على أحد مثلما قسا هو. أحسست بأن بينه وبين نزيلة فى اللوكاندة علاقة حب، لكننى أكذب نفسى، لقد وعدنى بالزواج. ولكن موافى أكد لى بأنه يقضى مع تلك النزيلة معظم الوقت الذي لانكون فيه باللوكاندة، ثم رأيتهما يدخلان باب اللوكاندة يضحكان، الغريب أنه لم يتأثر عندما رآنى. وقفت

حينذاك مندهشة. وسرت خطوات نحوهما..

كان مازال يضحك، أحست الفتاة بأنني أريد أن أقول شيئا. أو أريد أن أفعل شيئا. فصمتت وظلت تنظر إلي. لكن هو مازال يضحك. ويضع يده فوق كتفها.

نظر موافى إليّ. أراد أن يقول حتي «تصدقى قولى».

بعد أن ذهبت إلى حجرتها. وجلس هو فوق مكتبه اقتربت منه، وابتعد موافي، أحس بأن شيئا غير عادى سيحدث.

– ما الذي بينك وبين هذه الفتاة؟

قال وكأنه يرانى لأول مرة:

– أهلا عزيزة.

– هناك علاقة بينك وبين هذه الفتاة.

– ذلك أمر لايخصك.

صححت فيه:

– لكنك وعدتني بالزواج.

أشاح بيده في استخفاف ولم يرد.

عدت إلي مقعدى متخاذلة، لا أعرف ما الذى سأفعله معه، لم أحس إلا وأنا فى حجرتى بغربال والجميع حولي، ينظرون إلى

فى شفقة. يعاملونني فى هذه الأيام بحذر.يبتسمون لى طويلا يقدمون لي كل الأشياء دون أن أطلبها. لكن صابرا لم يأت. لم يسأل عنى.

عندما أظلمت الحجرة أحسست بالتعاسة. مللت البقاء. الشمس تشرق ثم تغرب وأنا كما أنا. أتمدد فوق الفراش اتنهد في حسرة.

عندما ذهب «على» إلى الجيش أرسل لى رسالة قال فيها إنه قلق من أجلى، وأنه لم ينس صورتى أبدا، ما زلت للآن احفظ الكلمات التى قالها فى رسالته.

قبل أول أجازة له من الجيش كنت قد أقمت علاقة مع صديق آخر من أصدقاء نبيل.

ألو كنت تزوجت«عليا» كما كان يتمني هل كنت سأسعد. أم أن الملل كان سيتسرب إلى حياتى، كما كان يحاول قتلى وأنا أسير معه وأسمعه. لقد تزوج «على» الآن، ومن امرأة أجمل منى بكثير. جاء مرة بها إلى اللوكاندة. صافحتها وأنا أقاوم دموعى، حاولت أن أبقيها بعض الوقت. لكن استأذنا لأنهما سيشتريان بعض اللوازم من شارع سعد زغلول القريب من اللوكاندة.

قمت بتكاسل أشعل المصباح. فتحت درج التسريحة نظرت

إلى المرآة، شعرى أشعث، لونى أصفر وعروقى بارزة. رأيت وجه صابر أمامى وهو يحدث الفتاة نزيلة اللوكاندة، وهى تميل نحوه وتضحك. ورأيت عليا وفتاته البيضاء، الطويلة مثله، وابتسامتها العريضة وهى تمد يدها الى لتصافحنى وأمال تسرع من حجرتها عندما تسمع صوت صالح: خطيبها. قلت لها معلقة على ذلك:

– انك تسرعين اليه كأنك تخافين أن تخطفه منك واحدة.

قالت ضاحكة:

– من ناحيتك أنت، أنا مطمئنة.

صحت فيها:

– لماذا، دميمة؟!

– لا. لأنى أعرف أنك لاتحبينه.

مررت بيدى فوق شعرى المهوش، منذ أن مرضت لم أمشطه، كما أنه مجعد وفي حاجة دائمة إلي الكى. بعكس شعر آمال الذى يهفهف فوق كتفيها.

حاولت أن أقلد إحدى ممثلات السينما وهى تضرب المرآة بقبضة يدها، شعرت برغبة في رؤية الدم. وفى الشعو بالألم

أمسكت الموسى(كان أمامي فوق التسريحة) وضعت يدى فوق الزجاج ونظرت إلى المرآة. مزقت شرايين يدى. تألمت، تدفق الدم، صرخت.

التفوا حولي ثانية، ربطوا يدى بمنديل. تمددت فوق أحد الأسرة بإحدى المستشفيات ونمت طويلا أحلم بالزواج، وأحلم بصابر وبالامس.

***

زارني صابر في المستشفى. ابتسم. امسك بيدى المجروحة وضع اصبعه فوق الجرح. ضغط بإبهامه، شعرت بالألم واللذة معا. همس أذنى بكلمات الحب.

قبل أن يخرج نظر إليّ، ودعته بنظرات راضية شيئا عن الحياة.

جاءتنى امال ومعها صالح يمسك بباقة ورد، كانت أكثر جمالا كأننى أراها لأول مرة. قبلتنى ووقف صالح خجلا كعادته وأمسك بيدى قائلا:

– كيف حالك الآن؟.

– بخير.

جلسا أمامي. قالت أمال.:

- لقد تحسنت صحتك كثيرا.

وقال هو مداعبا:

- شدي حيلك حتى تحضرى حفل خطوبتنا الخميس القادم.

ربت على يد آمال. قالت:

- إننى متفائلة بالنسبة لك وسوف تكون خطبتك خلال الأشهر القليلة القادمة.

لم أحزن أو أغضب لحديثها، شعرت بسعادة وأنا أراها مع صالح هكذا.

وحلمت على التو بأن أكون مثلها مع صابر، أو مع شاب آخر يروق لى. منظرهما كان جميلا للغاية. فقد كانا متفاهمين تماما.

-١٢-

عزيزة أختي تمر بأوقات عصيبة. تقاسى ألما. أشعر بها أكثر من أي إنسان اخر. لأنها قريبة مني.

دخلت حجرتها في المستشفى. جلست بجوارها. قلت مازحا:

– إنك فى حاجة إلي نزهة وسأتكفل أنا بهذا بعد أن تشفين.

لم تجبنى.

– احضر لك الريكوردر ليؤنسك.

– معى راديو صغير.

بدرية وراء ما يحيط بنا من شقاء، كلما تفرست فى وجه عزيزة ازددت كرها لبدرية. إنها لاتقيم للأمومة وزنا، لاتهتم إلا بنفسها. قالت عزيزة وهى تبكى:

– أمي أيضالا تريد لى أن أتزوجه.

فهمت مقصدها. الكلمات فى الكتب أفهمها بصعوبة الآن، صوت اسطوانات جرامفونى بح. الان يردد فى رتابة كلمات مفزعة كابوسية، وكذلك الريكوردر الذى أهداه صالح لى.

شددت عزيزة من يدها. صرخت فيها:

- اصمتى.

صوتها كان رفيعا وحادا، كررت ماقالته فى عناد.

بدرية كانت تجلس بجوار فرج فوق الكنبة. كانا ينظران معا من النافذة.

أنت تكذبين ياعزيزة. صابر يعلم عنى كل شيء. أشيائى التى كانت مبعثرة جمعتها ووضعتها فى جيوبه. أنت تكذبين. بدرية لعينة. أصباغ وجهها تعمينى عن رؤية باقى الألوان. رائحة عطرها تشعرني بالميل الى التقيؤ. لكن ليس مع صابر صديقى. قد يكون مع غيره.

الشقاء لن ينتهى، هوة شقائى تتسع، تزداد اتساعا، تتجسد الان آلامى ، يكاد أن يتضح سبب تعاستى.

***

شعر محروس بالملل من كل الأشياء فى المنزل، بدرية قلما تبقى فى البيت وهو محكوم عليه بألا يبرح الشقة وألا يدخل باب اللوكاندة التى كانت تسليه وتشغل وقته.

المنزل خاو تماما. عزيزة ابنته مازالت فى المستشفى وامال مشغولة بخطيبها صالح وشراء لوازم الخطوبة والاستعداد للزفاف الذى سيكون بعد أشهر قليلة، ونبيل حتى لو كان فى

الشقة فهو وحده. ليس هناك سوى الغرف الكئيبة المملة.

لون الجدران ممل، يكرهه. عندما اختارت بدرية اللون الأصفر أرادت أن توحى له بلون السجون. قال لها:

– لماذا تدهنين كل الجدران باللون الأصفر؟ تكفى حجرتك لو شئت.

صرخت قائلة:

– بيتي وأنا حرة فيه.

دهنت كل الجدران باللون الأصفر حتى الأسقف. عندما ينظر محروس إلى السماء – الآن– ويجدها زرقاء يدهش لماذا لم تتلون هى الأخرى باللون الأصفر. لماذا لاتتلون كل الأشياء باللون الأصفر، كلون عيون الناس عندما يراها.

يمل–هو– الجدران والعيون وكل الأشياء.

فزع من البقاء فى البيت .خرج. لم ينس أن يمر فى شارع «البطرية» ليأخذ راتبه اليومى من بائع الأفيون. الأفيون وحده مع السماء اللذان فرا من حصار اللون الأصفر الرتيب لعينه. سأل نفسه«إلى أين المسير»؟

بدأ الشتاء الآن والهواء فى الشوارع لايطاق. رغم هذا

سيواصل المسير، سيسير حتى لو أمطرت، حتى لو ذاب من البلل.

اللوكاندة قريبة منه الآن. لو ذهب إليها قد يجد بدرية وقد لايجد فيها سوى موافى اللعين، والبورمجية وهم يلتفون حول الزبالة وأعقاب السجائر. أشتاق حتى لرؤية كوم لزبالة المعتاد مكانه أمام اللوكاندة حتى محمود القهوجى اشتاق إليه.

سأذهب الى اللوكاندة وليحدث مايحدث.

يقترب الآن من سينا ركس، يرى اللوكاندة من بعيد. لو كان بصره قويا كما كان لرأى كل شيء بوضوح ولكن لابأس فسيصل اليها بعد وقت قصير.

مر بالزبالين الذين يجلسون رغم الهواء البارد فوق الأرض يمدون أيديهم ناحية أطباق وخبز. لم يهتموا به، ولكنه أطال النظر اليهم. اقترب من قهوة محمود. هى خالية الان من الزبائن ومحمود نائم بداخلها فوق مقعده.

عندما دفع باب اللوكاندة وقف موافى دهشا، كان قد رآه من خلال الزجاج، قبل أن يدفع الباب قال مبتسما:

– أهلا استاذ محروس.

تمنى محروس أن يشده لصدره وأن يقبله. شد على يده.

- لماذا غبت عنا كل هذه المدة؟

لم يجبه. سار بعيدا . قال:

- لم تأت الست؟

- ولاصابر.

إذن فليجلس مطمئنا جلس على المقعد، لمس المكتب بيده وفتح الدفتر فى شغف، شاهد خطه في الصفحات الأولى.

كان صابر قد رآه وهو يقيد فى الدفتر فقال له ضجرا:

- خطك سيىء للغاية. أكتب فى ورقة خارجية وأنا سأنقله فى الدفتر بنفسى.

الوحيد الذى لايريد أن يراه الآن هو صابر، ليته لايأتى إلا بعد أن ينصرف. قال موافي:

- اللوكاندة نورت.

ثم خرج ناحية الباب قال محروس متسائلا:

- إلى أين؟

- سآتى لك بالشاى.

تذكر محروس قطعة الأفيون ، أخرجها من سترته، داعبها بسبابته وإبهامه. بعد لحظات قصار جاء محمود القهوجى يحمل

صينية الشاى، عندما اقترب منه تهلل فرحا:

– اهلا عمنا الاستاذ محروس.

وقف محروس. مد له يده فرحا، قال:

– الشاى وحياة سيدنا النبى على حسابى أنا.

قال موافى معارضا:

– كلا ، بل على حسابى أنا فأنا الذى طلبته له.

أدار محروس الملعقة فى الكوب.

دار السائل الأسود. صنع فوق حافة الكوب رغاوى بيضاء، دس قطعة الأفيون فى الكوب، ثم أدار السكر في قاع الكوب، والآن، يدير الأفيون المر. الملعقة تحدث صوتا، يبتسم موافي له من بعيد، ويجدد تحيته من وقت لآخر.

– اللوكاندة نورت.

كاد ينسى صابرا وبدرية. دقات حذائها فوق البلاط تداعب أذنه في قسوة. يعود صوت حذائها به بعيدا عن الأمان الذى قابله به موافى ومحمود القهوجى.

قدم سيجارة لموافى. قبل أن يشعلها موافي له دخلت بدرية. رآها محروس من خلف الزجاج ود لو هرب، لكن أين وهى تسد

البـاب بقـامـتـهـا المديدة. دق حـذاؤها على أرض اللوكـاندة . أسرعت خطواتها.

قالت:

- محروس . أخرج من هنا.

وقف مـحـروس فـزعـا. مـوافي يتبـاعـد. أخذ يتـابع المشـهـد باهتمام..

- مـحـروس لاتثـيـرنـى. أخـرج، لقـد قلت لك ألا تأتـى إلي اللوكاندة ثانية.

شـاهـد مـحـروس أغـوار عـينيـهـا الغـاضـبـة وأصـابعـه تمزق السيجارة المشتعلة، لف بأطراف أصابعه دخانها، وغمس بقايها فى خشب المكتب.

يقـتـرب الان من النهـاية. سـاقـاه لاتحـتـمـلان جـسـده، لعلهـا الشيخوخة. أو لعلها النهاية حقا.. اقترب من بدرية، كانت تقول وتقول، لم يفهم شيئا. شفتاها كانتا تتحركان..«سـأخرج. كفى عن قولك.. لا أريد أن أري الغضب فى أغوار عينيك».

لم ينظر ناحيتها. لم ير مارآه وهو سـائر. كلا. لم يذكر شيئا لا البورمـجية ولا أكوام الزبالة. ولا مـحمـود القـهوجى ، ولاحتى مقهاه.

جلس فى إحدى الحانات، رآهم يتجرعون أكوابا صفراء. الساقى يتحرك فى خفة.

- ماذا قال المحترم؟

لم أقل شيئا . أريد مما يشربه هؤلاء ، كوبا لونه أصفر، أريد أن انغمس أكثر فى اللون الأصفر. لون بدرية المفضل، أريد أن أطوى نفسى داخله،

اقترب الساقى منه عدة مرات لايذكر عددها. فى كل مرة كان يضع أمامه الكوب الأصفر وتمتد يده لتمسكه. كانت تخطىء أحيانا فى إمساكه. ولكن، على أى حال كانت ترميه-حتما- في جوفه.

- لماذا لاأحطمه؟.

شعر برغبة فى أن يرمى نفسه عليه يحطمه، سيفرح البورمجية، سيجمعون زجاجه المنثور، يبيعونه بثمن أغلى من ثمن الورق الذى يجمعونه بصعوبة.

حرك ساقه. لايذكر أيهما لكنه يذكر جيدا أنه سار ناحية سينما ركس التى تبدو من بعيد بلمباتها التى تعدو. شاهد حينذاك البورمجية بوضوح. واللمبة الخافتة الممتدة اسلاكها من قهوة محمود القهوجى. أراد أن يحييهم . ولكنه وجدهم مشغولين

بعملهم.

دفع الباب، لم يحطمه، رأى موافيا يقف مذعورا، وصابرا يجلس فوق المقعد. سار نحوهما. قال:

– أين بدرية؟

أخذ موافي يتلمس صدره، تحركت شفتاه، قال أشياء لايذكرها محروس الآن. لقد حان الوقت لأ لا يعبأ بكل مايقال.

عندما اقترب من الدرج رأى موافيا يتحدث مع صابر. صعد الدرج بصعوبة. اجل هو يذكر هذا جيدا موافى –اللعين– يضع الصابون فوق الدرجات الخشبية ولايمسحها بعد ذلك. فتح أول حجرة وجدها، فزع من فيها، لم يطل فزعهم. فقد أغلقها مسرعا وفتح غيرها. كان يريد أن يهتدى إلى الحجرة ١١ حجرة بدرية الخاصة التى تبدل فيها ملابسها. فتح الباب فجأة. وجد بدرية تجلس أمام المرآة. عندما رأته تركت أدوات زينتها فزعة قال:

– لقد عدت يابدرية.

قالت صارخة:

– أنت مخمور. ابتعد عني.

لم يكن يعلم ما يريد اقترب أكثر وأكثر وهى تتباعد. نظر

طويلا لمساحيقها فوق التسريحة، حملها بهدوء فوق راحة يده، وقال:

- تزينى يابدرية أمامي.

- ابتعد يامحروس أنت سكران.

رمى المساحيق فى غضب. ضرب أرض الحجرة بقدمه، وجد الباب وقد انفتح. ودخل صابر وموافي ينظر من الخارج. قالت مستغيثة.

- الحقني ياصابر. إنه يريد أن يقتلنى.

لم يقترب صابر أكثر من ذلك. إنه حذر. قال:

- تعال يامحروس الآن. سنتفاهم بعيدا عن اللوكاندة.

ضحك محروس. لم يضحك في حياته مثلما ضحك وقتذاك، قالت بدرية جزعة:

- أرجوك ياصابر أبعده، أخرجه.

قال صابر فى خوف:

- إنه سكران، لا استطيع.

- اتصل بالبوليس.

ضحك محروس. وجد صابر يجرى مهرولا . وموافيا يفسح له

المكان.

عاد صابر ثانية والبورمجية خلفه. أولهم أسود يرتدى فانلة سواريه تكشف عن عضلاته وبشرته السوداء.

قالت بدرية عندما رأتهم:

- أجل. اجعلهم يضربونه ياصابر ويرمونه في الشارع.

شدوه وضربوه. قال لهم:

- انني صديقكم كنت اريد أن احـيـيكم منذ لحظات لكنكم كنتم مشغولين بجمع الورق.

ضحك صابر من منظره وضحك بعض النزلاء أيضا.

لم يهبط محروس الدرج بمثل هذه السرعة التى هبط بها هذه المرة. فقد دفعوه من فوق . صابون موافى هو السبب، ساعد جسده على التزحلق.

لم يذكر بعد ذلك شيئا إلا وآمال وعزيزة تساعدانه فى المستشفى كى يعتدل قليلا فوق الفراش.

***

عادت بدرية الى البيت متأخرة هذه الليلة، لم تجد أحدا فى البيت كانوا جميعا مع والدهم فى المستشفى.

فى الصباح أصرت امال أن تسافر إلى «بنى غازى» دون خطوبة أو زفاف، وإن يتم ذلك هناك. وقد سعد صالح لهذا.

-١٣-

بكت عزيزة قالت عن أبيها إنه تكسر. وقد قال لها وهو يبكي:«أمك وصابر فعلا بى هذا» مر الأسى علي صدر نبيل فاختزنه داخله.

فكر فى أشياء كثيرة. تمدد. شعر بالاسترخاء. حلم بالأشياء. وود لو ذهب إلى اللوكاندة وحطم كل شى فوق رأس بدرية وصابر ومواقى، وكل من فيها، كلهم ملعونون، كلهم يصنعون أساه يمزقون صدره.

رداؤه متسخ. لم يغيره منذ أيام، لايجد رغبة في تغيير ملابسه. لايجد لذة فى النوم..الجو متلبد. قد يسقط المطر فجأة. ليته يسقط ليستريح. أجل.

يكره نبيل لون السماء فى ذلك الوقت.

شد رداءه المتسخ بلا عناية لعن كل شيء داخله عدة مرات قال:

– سأذهب الى اللوكاندة وأحطم كل شيء فيها. سأضرب صابر بأى شيء أراه أمامى. أى شيء حتى لو قتلته.

والبورمجية- جامعى أعقاب السجائر والزبالة- سأحمل حديدة كبيرة وأطيح برؤوسهم وأستريح.

لم يجد البورمجية فى طريقه لعلهم يخافون المطر، فتواروا عنه.

دفع الباب الزجاجى الكبير. لم يكن صابر موجودا على مكتبه.

كان موافى وحده فوق مقعده(بجوار السلم) يداعب شاربه الطويل. عندما رآه وقف مبتسما قال:

- أين صابر؟

تلعثم قائلا:

- لست أدرى.

- وبدرية؟

- لست أدرى أيضا.

جلس نبيل مسترخيا فوق المكتب داعب الأشياء أمامه فى ملل: خطابات صابر الخاصة. وأوراق وإيصالات النزلاء وفتاحة الخطابات تلمع.

أمسك فتاحة الخطابات باصابعه.

تلك لعبة سقيمة حقا. يعلم أن موافيا يكذب وأن صابرا وبدرية معا فى الحجرة(١١). أسرع فوق الدرج. لهث، قال موافى فزعا:

– استاذ نبيل إلى أين؟.

فتاحة الخطابات تلمع فى يده، ود لو وقف ليستريح لكنه واصل العدو.

دفع باب الحجرة فى عنف. سمع صوت صابر آتيا من الداخل:

– ماذا تريد ياموافى هل جاء أحد؟.

لم يجبه. دفع باب الحجرة ثانية بجسده. شعر بألم فى جانبه.

فتح صابر الباب. أطل بوجهه والباب موارب، دفع نبيل الباب بجسده ثانية. كانت بدرية تنام نصف عارية فوق الفراش فوجئت به. وقفت مفزوعة.

– ماذا حدث يانبيل؟

لم يريا فتاحة الخطابات، صابر أمامه يرتجف، معذرة ياصديقى لأنى سأسبب لك ألما .

اقتربت بدرية منه:

- لقد كنت استريح في الحجرة كالعادة. وجاء صابر ليقدم لى حساب اللوكاندة.

لايهتم الان بشىء. فرج كان رجل البيت وهو رجل مثله، كان يدخل ويخرج من البيت كأنه سيده،ولم يسأل نبيل عن شىء.

أكرهك يابدرية. شقائى الذى كنت لاأدرى له سببا أشعر -الان- أنه منك. صابر حائر ..مدت بدرية يدها لامست خده أغمد نبيل فتاحة الخطابات فى الوسادة.. تراجعت بدرية، صرخت.

دفع نبيل الباب و أسرع إلى الشارع، أخذ يجرى . لم يشعر بآلام صدره، بكى.

كانت السماء تمطر . امتزجت دموعه بقطرات المطر...

صدر من هذه السلسلة

١- مختارات من الشعر العامي.......................... شعر
٢- قصائدمصرية......................................شعر
٣- صوت البرية.......................................قصص
٤- دراسات أدبية........................ تأليف: حسين عيد
٥- الزمن الحرام..................... شعر: محمد الرنوبي شاهين
٦- كتاب الأمكنة والتواريخ.............. شعر: عبد العزيز موافي
٧- أول الجنة أول الجحيم................ قصص: سعد الدين حسين
٨- ضل من غوى وسر من رأى............... شعر: صلاح اللقاني
٩- الزهرة الصخرية............................رواية: محمد الراوي
١٠- سليمان الملك.......................... شعر: محمد سليمان
١١- دائرة النور والظلام........................ قصص: محمد علوان
١٢- مكتوب على باب القصيدة.................. أشعار: عماد غزالي
١٣- صباح الحب الجميل......................... قصص: رفقي بدوي
١٤- انفلات................................... قصص: مصطفى الأسمر
١٥- في ذاكرة الفعل الماضي............ شعر: محمد صالح الخولاني
١٦- قطوفها وسيوفي............................ شعر: سمير درويش
١٧- أولاد المنصورة............ رواية عبد الفتاح عبد الرحمن الجمل
١٨- الحصار................................... قصص: وفيق الفرماوي
١٩- احتمالات.................................... شعر: مفرح كريم
٢٠- ثلاث دقات للأجراس..............................قصص: فتحي فضل
٢١- طائر الشمس........................شعر محمد مهران السيد

٢٢- بكات الدم.......................... قصص: حجاج حسن
٢٣- صلوات خاصة..................... قصص: عبد المنعم الباز
٢٤- مكابدات سيد المتعبين.................. شعر: السماح عبد الله
٢٥- الأمثال فى الكلام المضىء...............قصص: محسن يونس
٢٦- زهرة اللوتس ترفض أن تهاجر.... شعر:محمد محمد الشهاوى
٢٧- كتاب الوقت والعبارة.......................... شعر: محمد آدم
٢٨- عودة السيد عدنان............. مسرحية شعرية: طه حسين سالم
٢٩- المُرسى والأرض..........................رواية: فريد محمد معوض
٣٠- تقاسيم.. شعر: محمد كشيك
٣١- حلم السكك البعيدة.............................قصص: على عيد
٣٢- أى حوائج معى.............................. شعر: حسن النجار
٣٣- عملية تزوير.............................. قصص: رجب سعد السيد
٣٤- قيس.................................. مسرحية شعرية د.أنس داود
٣٥- طفلة بتحبى تحت سقف الروح............: شعر طاهر البرنبالى
٣٦- يهبط الحلم بصاحبه............شعر: عبد المقصود عبد الكريم
٣٧- إنها تومىء لى................................... شعر: رفعت سلام
٣٨- الهامشى والبحر......................... رواية؟ أحمد عبد الله متولى
٣٩- حكاية بهية.................................. قصص: محسن الخياط
٤٠- العسكرى ٦٥م٦٥.........................قصص: شحاته عزيز
٤١- من أروقة الغابة.................. قصص: محمد عبد الله عيسى
٤٢- اليمامه والنهر.....................................شعر: احمد الحوتى
٤٣- عجايب يازمن.............................. شعر: إيمان بكرى
٤٤- فى مدينة الوجوه القصدير...............شعر: جميل عبد الرحمن
٤٥- بصمات منقوشة بالحنين............. شعر: عبد الدايم الشاذلى

٤٦- قطرات من شلال النار..........................شعر: فوزى خضر
٤٧- اغنية بلا وطن.................................. شعر: يس الفيل
٤٨- مفكرات شاب........................ قصص: صبحي مراد متى
٤٩- وردة الكيمياء الجميلة.......................شعر: على منصور
٥٠- الرؤيا والوطن............................ شعر: صلاح ولى
٥١- بعض الوقت لدهشة قصيرة.................. شعر: وليد منير
٥٢- من دفتر الصمت...................... شعر: محمد عفيفى مطر
٥٣- طفل الجبل الملتهب...................قصص: سناء محمد فرح
٥٤- فاطمة..شعر: عزت الطيرى
٥٥- ١٦-١١-٨٢.......................... قصص: جمال نجيب التلاوى
٥٦- حرير الوحشة....................................شعر: أحمد زرزور
٥٧- كفك..قصص: هدى جاد
٥٨- لحظات فى زمن التيه........................ قصص: السيد نجم
٥٩- بئر الأحباش...................قصص: عبد العال الحمامصى
٦٠- تحورات البحر................................ قصص: فؤاد مرسى
٦١- الدوامة..رواية: كمال مرسى
٦٢- حالات من العشق..........................شعر: فؤاد سليم مغنم
٦٣- كان يوم صعب جدا .... مسرحية: هشام السلامونى
٦٤- قلب الوردة..........................قصص: مصطفى أبو النصر
٦٥- العاشق والنهر.........................شعر: د.صابر عبد الدايم

اصدارات الهيئة العامة لقصور الثقافة

* ضمن اهتماماتها المتعددة بالنشاط الثقافى بمختلف أشكاله، تعنى الهيئة بإصدار عدة سلاسل من الكتب هى:

أولا: سلسلة «أصوات أدبية»

- مخصصة لإداع أدباء مصر في كل مكان فى الشعر، فى القصة فى الرواية.

- تصدر اسبوعيا.

ثانيا: سلسلة «كتابات نقدية»

- تواكب الإبداع الأدبى بالدراسة والتحليل، ولاتغفل النظريات النقدية والعربية والعالمية. وتفتح صدرها لكل فكر جاد يتسم بالطابع النقدى

- تصدر شهريا. في منتصف كل شهر.

ثالثا: كتاب «الثقافة الجديدة»

- تتناول حياة أبرز المفكرين وأعمالهم وأدوارهم فى إضاءة العقل والوجدان ودراسة تحليلية لإنجازاتهم فى خدمة الفكر والإبداع العربي.

رابعا: سلسلة «مكتبة الشباب»

- تأخذ على عاتقها مهمة التثقيف العام بتقديم كتب مبسطة تتناول مختلف ألوان المعرفة.

- تصدر أول كل شهر

خامسا: كتاب الأدباء

- يهتم بتقديم الواقع الثقافى والإبداعى لكل إقليم على حدة ويُعد بمثابة بانوراما كاشفة لحركة الإبداع الأدبى فى أقاليم مصر.

- يصدر شهريا.

رقم الايداع ٧٦٨٦/٩٤
I.S.B.N
977-235-216-8

الأمل للطباعة والنشر ت: 3904096

مصطفى نصر

(١٩٤٧،.........)

* من مواليد حى غربال بالاسكندرية اغسطس ١٩٤٧
* من أسرة نزحت من قرية جهينة بصعيد مصر
* يعمل رئيسا للحسابات بشركة الورق الأهلية
* حصلت روايته الجهينى على الجائزة الأولى من نادى القصة عام ١٩٨٣.
* يكتب القصة القصيرة والروايا والدراما الإذاعية
* ترجمت روايته«الهماميل» إلى اللغة الفرنسية
* جارى تحويل بعض أعماله الروائية إلى أعمال سينمائية«الجهينى» و«جبل ناعسة».

الأعمال الروائية:

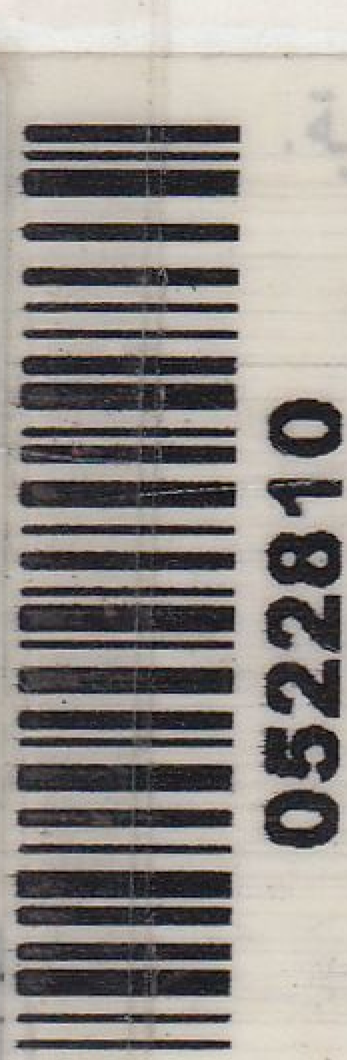
١- الصعود فوق جدار أملس- جماعة أقلام الصحوة الاسكندرية.

٢- جبل ناعسة- المجلس الأعلى للثقافة القاهرة ١٩٨١.

٣- الشركاء- طبعة محدودة الاسكندرية ١٩٨٢.

٤- الجهينى- المركز القومى للفنون القاهرة ١٩٨٣

٥- الهماميل- دار الهلال القاهرة ١٩٨٨



الثمن: خمسون قرشا

شركة الأمل للطباعة والنشر والتوزيع